

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY

2 SEP 1972

Tel. 260458



الشعر العربي في المهجر الأمريكي

دراسة وتحليل

بقلم

وديع امين ديب

M. A.

استاذ الادب العربي في كلية بيروت للبنات

بيروت سنة ١٩٥٥

دار ربحاني للطباعة والنشر - بيروت

الى



ابي واخوتي واعمامي واخوالي المغتربين والى كل مغترب كريم ارفع
هذه الرسالة المتواضعة عربون محبة ووفاء

المؤلف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

قسما باهلي لم افارق عن رضى
لكن انفت بان اعيش بموطني

اهلي وهم ذخري وركن عمادي
عبداً وكنت به من الاسياد
فوزي المعلوف

توطئة

يرجع عهدي بهذا الشعر المهجري الى نحو ربع قرن من الزمن . الى عام ١٩٣٠ الى اليوم الذي تخرجت فيه من مدرستي الثانوية وفي يدي شهادتها . وكان ذلك على اثر تعريفي بكتاب يجمع شيئاً من نتاج المهجر الادبي والفكري بموضوع « بلاغة العرب في القرن العشرين » لصاحبه محي الدين رضا . ثم كان ان نظمت الشعر يافعا ومارسته على غير ما انصرف له . فقد كنت وما زال من المقلين في نظم القريض غير انني من رواة الشعر المكثرين .

واكثر ما احفظ منه يرجع الى ما علق بالذاكرة من ^(١) شعر المهجر . وهو شعر يسهل حفظه لعدوبة موسيقاه ونعومة الفاظه ولطف معانيه بحيث يكاشفك بما في نفس صاحبه من شعور صادق . فلا تعمل ولا غموض . ولذا جاء حبيباً الى النفس يدخل الاذان بدون استئذان ثم لا يلبث ان يصل الى القلب ليقم منه في سويدائه .

ثم كان ان التحقت بالجامعة الاميركية طالبا بعد قضاء ثماني سنوات في التدريس فنلت شهادتها من درجة بكالوريوس علوم عام ١٩٤١ . وحسن لي إذ ذاك ان يكون « ادب امين الريحاني » موضوعاً لرسالة تلك الدرجة . ثم عدت الى التدريس بضع سنوات . وعدت فالتحقت بالجامعة الاميركية طالبا لسنة واحدة نلت في نهايتها درجة استاذ علوم وحسن لي إذ ذاك ان يكون « الشعر المهجري » موضوعاً لرسالة تلك الدرجة . ثم تكرمت الجامعة فالحقتني برهط اساتذتها الكرام الى غاية

(١) راجع ما كتبه توفيق ضعون بهذا الصدد في كتابه « من وحي السبعين » ص ١٠٣

عام ١٩٥٠ ! فكنت في خلال تلك المدة كلها التي صرفتها بين تعلم وتعليم احدث عن هذا الادب واحاضر فيه وابشر بفضل رسالته . وكان لي حظ تقديم الشاعر الملهم ^(١) ابي ماضي الى جمهور المستمعين في قاعة وست من الجامعة الاميركية يوم جاء لبنان بمناسبة انعقاد مؤتمر الانسكو فيه . كذلك كان لي حظ تقديم الاديب الكبير حبيب مسعود الى لفيف من اساتذة الجامعة وطلابها . وقد اشار الى ^(٢) تلك المناسبة في احد اعداد مجلة العصبة التي يرأس تحريرها والتي تصدر في سانبولو من اعمال البرازيل .

ومفاد ما اريد قوله هو انني كنت وما ازال في جملة من يعنى بهذا الادب الكريم . باذلا كل جهدي الى نشره وتعريفه . ساحا لكل من جاءني مستأذنا بأن يطلع على رسالتي المهجرتين المشار اليها المودعتين في مكتبة الجامعة . لا فرق عندي سُبقت الى طبع كتاب في هذا الموضوع او كنت السابق الى ذلك . وكان البعض يفيد من تساهلي فياخذ مما جمعت واستخلصت دون ما اشارة او تنويه بفضل . ولم اكن احفل كثيراً بسكوته لعلمي انني لم آت بالمعجزات . هذا وان يكن لي من فضل يذكر فلا يتعدى في نظري حد الاهتمام بما يجب ان نهتم به على انه تراث يضاف الى ما لدينا من تراث عربي .

على ان المجال ما يزال متسعاً لمن يشاء ان يضع دراسة اوسع واعم . بحيث تشمل نشاط المغترب الكريم في جميع الحقول . من اقتصادية وسياسية وعلمية . لقد كنت انتوي ان اعني برسالتي هذه اكثر مما عنيت بحيث تكون جامعة . الا ان ضيق الوقت والظروف المادية حملتني على اختصارها بعض الشيء دون ما تعرض لخطوطها الاساسية .

(١) راجع ما كتب في مجلة الاديب لتلك المناسبة

(٢) راجع ما كتبه الاديب مسعود في كتابه « ما اجملك يا لبنان »

هذا وقبل الختام ارى لزاما علي ان اسدي جميل شكري لاستاذي
الفاضل انيس المقدسي وللادباء الكرام مخائيل نعيمة وامين الغريب
والبرت الريحاني ومنح الراسي واميل العضيبي^(١) وجبران بنحعازي^(٢)
من اجل ما زودوني به من معلومات وارشادوني الى كتب ومجلات .
خصوصاً الاديب المهجري الكبير مخائيل نعيمة الذي كان يتلطف فينقل
الي بعض الدواوين المهجريّة من مكتبته الخاصة في بسكنتا .

وبعد لعل القاريء واجد لي عذراً في تقصير حصل او خطأ وقع .
لا سيّما اذا عرف ان هذه الرسالة وضعت والحرب العالمية الثانية لم
تكّد تضع اوزارها . وكان ذلك عام ١٩٤٥ ناهيك بما كنت اجد من
صعوبة في الحصول على اعداد المجلة المهجريّة . فكان يضع معظم وقتي
ساعيا بين مكتبة الجامعة ومكتبة اليسوعية والمكتبة الوطنية . مع
الاقرار بأن تلك المجلات لم تكن تامة الاعداد . اقول هذا وانا ارجو
مخلصاً ان اجد بين الادباء من يعنى بهذا الادب المهجري العناية اللائقة به ،
ربأ فيه من حيث فاتني ذلك .

وديع ديب

(١) رئيس نادي المهاجرين

(٢) قيم مكتبة الجامعة الاميركية

حكاية هذا المغترب

كان بما كان ان تسربت عناصر الفساد الى سلطنة بني عثمان . فساءت حالتها وانتابتها العلل فاذا هي « رجل اوربا المريض » واحست الدول الغربية بخطورة دائه وانه مشرف على الموت فسارعت الى اقتسام ميراثه الضخم . فكانت « المسألة الشرقية » التي قال فيها المؤرخ ديسي : « ليست ^(١) حقيقة تلك المسألة في البحث عن الوقت الذي يتقلص فيه ظل الاتراك في اوربا وانما في من يخلفهم في القسطنطينية والبسفور والدردينيل . »

وكان بما كان ان سرت حمى الثورة من قبل في جسم العالم الاوربي وتجلت هذه الحمى صاحبة معرودة في الثورة الفرنسية التي تمخضت عن رجل فرنسا الخالد نابليون . وقد حدثته نفسه بغزو الشرق فغزاه بعد ان ضاقت اوربا عن فتوحاته . وكان يرمي من وراء عمله هذا الى انتزاع ^(٢) الهند من يد الاعدائه الانكليز ولكنه اخفق لمناعة جزيرتهم وبأس اسطولهم . فجاء مصر سنة ١٧٩٨ لعله بالغ املاً . فألبت عليه بريطانيا بما وسعها من الحيلة معظم القوى الاوربية . واشتركت في ذلك النضال تركيا وهي احوج ما يكون الى العافية . فاختارت لملتها تلك محمد علي الالباني المحتد فباء بالفشل . ثم شاءت الظروف ان يغلب نابليون على امره في معركة النيل على يد الاميرال الانكليزي نلسن .

وكان نابليون قد حمل الى هذا الشطر من العالم بذور الثورة الفرنسية متعمداً ان يكون لهذا الشرق حظ من الوعي السياسي والعلمي .

(١) المسألة الشرفية ص ٦

(٢) ثورة العرب ص ٤

فحاول ان ينهض بمصر أولا . فجاءها بالعلماء واسس فيها المدارس والمعاهد
وانشأ فيها الجرائد ما مهد السبيل لمحمد علي باشا فيما بعد لان يحقق
رغباته الاصلاحية التي كان يحلم بها . وكان محمد علي يرى من الخير ان
يستقر له الامر في ولايته هذه قبل ان تحدته نفسه باي شيء آخر . فاخضع
المماليك سنة ١٩٠٥ ثم بعد قليل استولى على السودان وسوريا وكاد يستولي على
الاستانة فحالت (١) روسيا والانكليز دون تحقيق مطامحه . وكوفئت
روسيا من الباب العالي بمعاهدة تضمن لها اجتياز مضيق الدردنيل ساعة
تدعو الحاجة . ما حمل الاسطول البريطاني على زيارة عكا في شبه انذار
فخشي رجل مصر مغبة الامر فاضطر الى مهادنة السلطان مع الاعتراف
بسيادته الذي ضمنت سلامته اذ ذاك بعض دول اوربا الكبرى . وهكذا
وضع رجل اوربا المريض تحت وصاية الطامعين في ميراثه .

استمرت الحالة في اضطراب وقلق الى يوم زحفت فيه روسيا الى
الفلاخ فاندرتها زميلاتها انكلترا وفرنسا والنمسا فلم ترعو . فكانت
حرب القرم سنة ١٨٥٤ ثم كانت معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ وفيها
ضمنت سلامة الدولة العثمانية مرة ثانية على ان تتعهد هي بدورها بتحسين
معاملتها مع رعاياها النصارى . فاصدرت بذلك الخطي الهمايوني (٢)
المعروف . وفيه اعترفت بحق جميع الطوائف امام القانون من حيث دفع
الضرائب ومنح الامتيازات . بحيث لا يبقى مجال لروسيا او فرنسا
للادعاء بحماية الاقليات المسيحية

غير ان الجهل كان ما يزال مخيلا فوق السلطنة العثمانية من اقصاها
الى اقصاها . وقد رأى الاجانب في اصدار ذلك الخطي الهمايوني متسعا

(١) يقظة العرب لانتو نبوس ص ٢٣

(٢) يقظة العرب ص ٥٧

لدس الفتن واحكام الدسائس . فكانت حادثة سنة ١٨٦٠ التي ذهبت
 بالكثيرين من مسيحي دمشق ولبنان . وعلى اثر تلك المجزرة ارسلت
 فرنسا جيشاً الى لبنان لقمع الفتن واعادة النظام ومن ذلك الحين
 يصبح لبنان مستقلاً عن الدولة العثمانية . فولد لبنان الصغير وقد اقامت
 بعض الدول الاوربية نفسها وصية عليه . ومثلت فرنسا دور « الظئر
 الحنون » وفي سنة ١٨٧٦ خلع السلطان عبد العزيز الذي كان يعرف بغاوي
 النساء بحيث كان له منهن تسع مئة امرأة يحرسهن ثلاث مئة من الحصيان .
 « اما الناس — كما يقول امين الريحاني — العدد الاكبر من الامة
 اولئك الذين يدفعون الخراج ويأكلون الكرباج ثم يحملون السلاح للجهاد
 فدعهم يعيشون في جهلهم واوساخهم وامراضهم وشقايتهم المستمر . »
 وفي سنة ١٨٧٦ خلع السلطان عبد العزيز ثم وجد بعد حين ميتاً ولم
 يعرف سبب موته . فتبوأ عرش المملكة السلطان عبد الحميد والفتن ما
 تزال تضطرم في انحاء الامبراطورية المتداعية . في هذه السنة تنهض
 بلغاريا لرفع النير التركي وتدعمها روسيا التي اعلنت الحرب على
 الاتراك سنة ١٨٧٧ ثم كانت معاهدة برلين ١٨٧٨ التي اعلن بها استقلال
 الصرب والجبل الاسود ورومانيا وقسم من بلغاريا وعلى اثرها استولت
 بريطانيا على جزيرة قبرص لقاء مساعدتها للباب العالي . وفازت روسيا
 بغنيمة باطوم واردهان .

يذكر استاذنا المقدسي ان فريقاً من احرار^(١) الاتراك نهض لدفع
 الخطر المتزايد وتلافي الامر قبل استفحاله . « فكان هناك احرار من
 العثمانيين يهاجمون الفساد ويحملون على السياسة الفاشية . » ومن ابرز
 اولئك مدحت باشا الذي اتهمه عبد الحميد بقتل عبد العزيز وبذلك اوجد
 مبرراً لقتله .

ولعل مدحت باشا لم ينهض للإصلاح الا بعد ان بلغ السيل الزبى .
وفي ذلك يقول شيخ الادباء الاستاذ احمد امين على صفحات « ثقافته »
« جاء مدحت ^(١) باشا الى الوجود والدنيا مدبرة عن الدولة العثمانية
وحركة الجزر تلي حركة المد . حكام في كل ولاية يحكمون البلاد
بعقول ضيقة وشهوات واسعة . فخفخة في المظهر وسخف في الخبر . لا
يقيدهم قانون ولا يردعهم عدل ولا يرون للشعوب حقاً الا ان تؤمر
فتطيع وتنهب فتصبر . بل لا يكفيهم الصبر على المصيبة وانما يتطلبون
المدح والثناء عليهم في ظلمهم وطريقة حكمهم . فمن امتعض من ذلك
فهو نائر ومن شكاهو كافر . فأورث ذلك الهجرة عند من احتفظ
بابائهم . والذل والهوان عند من لصق بارضه . لا عناية بصحة ولا تعليم
فالامراض فاشية والجهل عميم والمسلمون في ذلك اسوأ حالا من
المسيحيين : »

يستنتج مما تقدم ان الناس كانوا سواء امام ظلم عبد الحميد فلم يرحم
مسلماً ولم يراع ذمة مسيحي .

وفي سنة ١٨٨٢ دخلت مصر في حظيرة النفوذ البريطاني فوجد
احرار سوريا فيها ملجأ لهم وكان اللبنانيون في طليعة المهاجرين اليها .
وهناك اسسوا وانشأوا النوادي العلمية والادبية والمسرحية وبعض
المجلات والجرائد أمثال الهلال والمقتطف والاهرام والاثنين .

واخذ الضغط التركي يشتد على السوريين مع الايام . وقد بالغت
الحكومة الاتحادية فكمت افواه الاحرار من العرب والاصلاحيين
منهم وبالغت في تعذيبهم والفتك بهم . ثم اخذ الاتحاديون بسياسة
« تترك » الشعوب العثمانية . وكان اعظم الكتب خطراً على العالم العربي

كتاب « قوم جديد » كما جاء في كتاب ثورة العرب حيث يقول عبيد الله من خطبة القاها في جامع اياصوفيا : « ما هذا الجهل وما هذه الغفلة التي استولت عليكم تعلقون اسماء خلفاء العرب على جذران جوامعكم امثال ابي بكر وعمر وعثمان ولا تذكرون احداً من الخلفاء العثمانيين الذين قدستهم الاحاديث النبوية الكثيرة . »

ثم كانت الحرب العالمية الاولى فدخل الاتراك الى جانب حلفائهم الالمان مرغمين اوراضين . وخشي الباب العالي من ثورة تحدث فبت العيون واخذ يطارد الاحرار العرب من بلد الى آخر . فكان نصيب سوريا من ولاة الاتراك السفاح جمال باشا وقد تظاهر في اول (١) عهده بكرهه للاتحاديين وبميله الى العرب ثم اماط اللثام عن وحش شرس في جلد حمل وديع واذا احرارنا بين شهيد وطريد وكان نصيب اكثرهم الشنق وبذلك يقول شاعر العراق الزهاوي .

على كل عود صاحب و خليل وفي كل بيت رنة وعويل

وكان نصيب لبنان من سياسته الغاشمة التضيق الاقتصادي فاحدث ذلك مجاعة مخيفة ذهبت ضحيتها الوف الناس البريئة . ولكم تقرأ من مقالات وقصائد مهجرية في موضوع الجوع . وكان لهذا الجوع اثره في انتشار الفوضى الاجتماعية والاخلاقية . فشاعت السرقات وكثرت الجرائم الى حد بعيد واليك الحالة كما يصفها احد شعراء لبنان المرحوم وديع عقل :

وعزّ الرغيف وضافت (٢) سبيل الحياة على امة كاملة

فاني التفت رأيت بنينا جياً يموتون في السابلة

(١) ثورة العرب ص ١٦٢

(٢) راجع ديوانه

ففي كل باب ترى سارقاً وفي كل باب ترى سائلة
 ألبنان لست بيت الاباة ولا وطن الامة الباسلة
 اناك جمال يحجر الرزايا عليك باثقالها نازلة
 وعاد سليما وذوي وصمة بصيتك ما هي بالزائلة

وهنا يجدر بنا ان نقف قليلا لنوجه النظر شطر العالم الجديد حيث
 اخذ اللبنانيون والسوريون يقيمون لانفسهم وطناً جديداً . ولهذه الهجرة
 حكاية ذات اسباب كثيرة . اهمها عامل الفقر الذي فرضته الدولة العثمانية
 على لبنان كما يذكر اوغست اديب باشا في كتابه لبنان بعد الحرب حيث
 يقول : « فالسبب الاول في مهاجرة الالوف من اللبنانيين هو ذلك القانون
 الاساسي الذي وضع سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٤ فان اشد ضرر جلبه على
 لبنان هو حصره ذلك الجبل في حدوده الحالية . ولولاه لما كنا رأينا ذلك
 المشهد المؤلم مشهد اناس في ضنك شديد من العيش يرمون من اعالي
 صخورهم نظرات اليأس الى ما عند سفح جبلهم من السهول الواسعة
 الحصبة التي يقصيم عنها اختلال الامن واستبداد الحكام » . من هذا
 القبيل ما ذكره الدكتور فيليب حتي في ان العوامل الاساسية التي
 حملت الناس على الهجرة هي عوامل اقتصادية . وقد كانت الحلقة الاولى
 من سلسلة الحوادث التاريخية التي ساعدت على ذلك حادثة فتح ترعة
 السويس سنة ١٨٦٩ ثم إن الحرب الاهلية الناشبة في سنة ١٨٦٠
 والمعروفة في لبنان « بحركة الستين » كانت قد ألجأت بعض السوريين الى
 المهاجرة شطر مصر . فكانت تلك الوثبة الاولى لبعضهم نحو العالم الجديد .
 وحدث من جراء فتح ترعة السويس أن تأخرت تجارة سورية البحرية
 واحكمت اسواق اوربا عرى الاتصال بالشرق الاقصى فأخذ الحرير
 السوري - وهو من اهم صادرات البلاد - يشعر بمنافسة الحرير الياباني
 والصيني في اسواق ليون . وهنا اخذ الضيق يزداد على الفلاح اللبناني

السوري . بحيث ضاقت به سبل الحياة . كما جاء في شعر وديع عقل .
 ناهيك بما كان من فساد خلقي عرف به الحاكم قبل المحكوم . واعلك
 تذكر منظومات الاخطل الصغير القصصية من امثال الريال المزيف
 وغيرها . يذكر الدكتور ^(١) حتي ان الهجرة بدأت في الشطر الثاني من
 القرن التاسع عشر وان اول لبناني وصل الولايات المتحدة هو
 انطونيوس البشعلاني الذي نزل بوسطن سنة ١٨٥٤ ^(٢) . وجاء في تاريخه
 ايضاً ان اول عائلة سورية دخلت الولايات المتحدة هي عائلة جوزف
 عربيلي من دمشق الشام وذلك سنة ١٨٧٨ . ثم يأخذ الزحليون بالهجرة
 اولاً وتمتد هذه الحركة الى باقي القرى والمدن اللبنانية . وقد بلغ عدد
 المهاجرين بين سنتي ١٨٩٩ - ١٩١٠ نحو ستين ألفاً من النفوس .

وجاء في عدد ابي الهول التاريخي الذي اصدرته جريدة ابي الهول
 لمناسبة مرور خمسين عاماً على الهجرة اللبنانية الى تلك الديار ما يلي :
 اول مهاجر وطئت قدماه ارض البرازيل يوسف ^(٣) مزياره وكان سفره
 من البرتغال الى الربو على مركب شراعي وذلك سنة ١٨٨٠ .

وقد لفت نظري على غلاف ذلك العدد التاريخي صورة مزدوجة في
 شطرها الاول صور بغال ومكارين من بائعي « الكشة » وفي الشطر
 الثاني صور مختلفة لمظاهر المدنية والعمران . وقد كتب تحت الصورة
 هذه الفقرة .

« ينبئك هذا الرسم عن الحالة التي كنا فيها في بدء هجرتنا وعن الحالة
 التي بلغناها بعد مرور ٥٤ سنة على هجرتنا الى هذه البلاد العزيزة . فقد
 انتقلنا من بيع السلع الخفيفة والايقونات والمسابح وحمل الاثقال وتسيير
 القوافل وتجشم الاسفار والنوم في الحلاء الى السعة في العيش . فشيدنا

(١) السوربون في اميركا (٢) ولذا اعتبرت الحكومة اللبنانية نهاية ١٩٥٤
 اليوبيل المئوي للهجرة الاولى فعرف هذا الصيف « بصيف المغتربين »
 (٣) عدد ابي الهول التاريخي السنة ١٩٣٦ ص ٣

المنازل وبنينا المخازن فاصبحنا بعد هذا التطور السريع غلثك في سانبولو وحدها ما يقارب الاربعة الاف بيتاً . وفي عاصمة الاتحاد ما يقارب ذلك . ومنذ عشرين سنة اقتحمنا الزراعة فاقتنينا من مزارع البن ما توازي مساحته اضعاف اضعاف الجمهورية اللبنانية . »

يقول الدكتور مجيد خدوري في مجلة المعلم الجديد البغدادية عدد حزيران سنة ١٩٣٩ ص ١٤٢ « وربما كانت معامل يافث اخوان للقمشة القطنية اكبر معامل في اميركا الجنوبية . »

كذلك ذكر النائب الكريم وديع الاشقر على اثر زيارته البرازيل (محدث الى مندوب الصفاء) « ان اخواننا في البرازيل وعددهم ١٧٠ اصابوا نجاحاً كبيراً في التجارة والزراعة وانهم يكادون يحتكرون الصناعة في مدينة سانبولو . فهل رأيت فتحاً سلبياً اوسع من هذا الفتح وهمة أبعد مدى من هذه المهمة . لقد صح فيهم قول شاعر النيل حافظ ابراهيم :

ما عابهم انهم في الارض قد نثروا فالشهب منشورة مذكانت الشهب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
على ان هذا الازدهار في التجارة والصناعة والزراعة لم ينس المغتربين
الوطن الاصلي وطن الالباء والاجداد.

فيقول رشيد ايوب بلسان مغتربي اميركا الشمالية :
الا لا ارانا الله عوداً لدولة نكون لها اسرى واموالنا نهبي
السنا الألى عافوا الحياة بظلمها وجابوا بلاد الله واستوطنوا الغربا
وقال فوزي المعلوف بلسان مغتربي اميركا الجنوبية :

قسما باهلي لم افارق عن رضي اهلي وهم ذخري وركن عمادي
(٢)

لكن انفت بأن اعيش بموطني عبداً وكنت به من الاسياد
وبمثل هذه اللهجة المريوة يحدثنا الشعراء الباقون . واعلنا عائدون
الى دراسة هذه النزعة في حديث آخر يقتضيه سياق البحث . وآية القول
فقد استطاع اللبنانيون خاصة وهم الاكثرية الساحقة من المغتربين
استطاعوا بما وهبهم الله من الاستعداد العقلي ان يجاروا ارقى شعوب
العالم الجديد حضارة وعلماء . في كل ميدان من ميادين الفكر والعمل
 والاجتماع . فكان منهم رئيس الوزارة من مثل السيد جبرائيل طريه .
في كولومبيا ورئيس مجلس النواب من مثل نسيه جولوس طريه
وكان منهم المخترع كالمهندس مالطي من دير القمر . والمخترع العبقري محمد كامل
الصباح من النبطية ^(١) وكان منهم التاجر الكبير من امثال آل يافث
وكان منهم الكتاب والشعراء العالميون من امثال جبران والريحاني
ونعيمه وفوزي المعلوف وابي ماضي والقروي وسواهم .

ولعل الاندلس في عصورها الذهبية وهي التي حوّلها العرب الى بلد
عربي لم تشاهد نهضة ادبية كالتّي قام بها احفادهم في الاندلس الجديدة
من العالم الجديد . هنا اتيج لهم ان ينشئوا النوادي الادبية
والفكرية . واراني مكتفياً بذكر رابطتين ادبيتين نشأت
احدهما في المهجر الشمالي والثانية في المهجر الجنوبي وهما الرابطة
القلمية والعصبة الاندلسية . فأعضاء الرابطة هم: جبران خليل جبران -
مخائيل نعيمه - ايليا ابو ماضي - نسيب عريضة - رشيد ايوب - وليم
كانسفليس - عبدالمسيح حداد - ندره حداد - وديع باحوط -
الياس عطا الله .

(١) ذكرت جريدة الديار البيروتية خبراً مفاده : أن جاء من الولايات المتحدة نبأ
يفيدان العالم اللبناني روبرت ابو عبدالله من اهل كفرمتى اشترك مع علماء اميركا في الابحاث
الذرية . (السنة الخامسة عدد ٩٨٣ ص ٢)

اما اعضاء العصبة فهم ميشال معلوف رشيد الخوري (القروي)
 نظير زيتون ، جورج معلوف ، توفيق قربان ، اسكندر كرجاج ، الياس
 فرحات ، عقل الجر ، حبيب مسعود ، انيس الراسي ، جرجس كرم ،
 شكر الله الجر ، جورج كفوري ، يوسف البعيني ، جبران سعادة ،
 توفيق ضعون ، ميشال مغربي ، قيصر الخوري (المدني) ، نصر سمعان ، نعمه
 قازان ، انطون سعد ، حسني غراب . لا يعني هذا ان ادباء المهجر
 ليسوا سوى تلك الفئة التي ذكرت . فهناك شعراء وادباء لم ترد اسمائهم
 وبينهم الكاتب الكبير والشاعر اللامع من امثال امين الريحاني ، امين
 مشرق ، الياس قنصل ، سعيد اليازجي ، جورج صيدح ، زكي قنصل ،
 مسعود سماحه ، سليم نادر ، احمد نجم ، اسعد رستم الشاعر الهزلي . الدكتور رزق
 حداد ، ميشال غراب ، سيادة المطران بشير . جورج عساف . وهناك
 شعراء الزجل ^(١) والمعنى الذين يذكركم صاحب جريدة ابني الهول
 واحداً واحداً . ومن الشعراء ايضاً محبوب الشرتوني والياس طعمه .
 وقد عرفت من اديبات وشاعرات المهجر الانسات والسيدات :
 الس مكرزل ، كاتي زريق ، سمية عطية ، ماري الخوري ، ليبي حنا ،
 ادال صفدي ، نجلا صعي ، سعدى حداد ، مريانا صوايا . على ان أوفرهن
 شاعرية وذكاء الشاعرة الكولمبية ربيبة كولمبيا الانسة ماري دلمار التي
 يذكر عنها الاستاذ امين الغريب في احد اعداد مجلة العصبة من السنة
 العاشرة عدد ٥ ص ٥٢١ ما يلي :

« ليست ماري دلمار التي يتناشد الكولومبيون اشعارها النفيسة الا
 الانسة اولغا شمس شقيقة التاجر المعتبر وليم شمس في بارنيكا وقد باشرت
 نظم الشعر الاسباني في الرابعة عشرة من عمرها . طبعت حتى الآن

(١) وقد ورد اسم ابني بينهم ويعرف بالمهجر باسم امين ديب مسعود بينما تعرف عائلتنا
 في مرجعيون بآل الجلبوط هذا في حين ان بعض المقترين كانوا يتبنون اسماء اجنبية .

ثلاثة دواوين شعرية نفذت كلها . وهي تعد للطبع ديواناً رابعاً طلبته منها شركة طباعة كبيرة تتولى اصداره وتوزيعه في اميركا الجنوبية والوسطى . انتشرت اشعارها في جميع الاقطار التي تتكلم باللغة الاسبانية . وانتخبها ادباء البلاد مرتين على صغر سنها ما بينهم رئيسة لناديهم الادبي . والكولمبيون يعدونها الشاعرة الفريدة في بلادهم . وقد اهدتها الحكومة الكولمبية وسام الاستحقاق الكولمبي من اجل اشعارها التي كثيراً ما يرد الارز في اوزانها والحنانها !

وهناك ايضاً لبنانيون مشهورون نظموا وكتبوا في اللغات الاجنبية وكانوا من المحلقين من امثال الدكتور (١) جميل منصور الحداد ، وفريد ابو شديد ، وسلمون جورج . هذا مع العلم ان الكثيرين ممن ذكروا لم يكونوا ادباء وشعراء بالمعنى الفني الصحيح . ومع ذلك فقد ساهموا في قيام تلك النهضة الادبية المباركة التي اكثر ما تتجلى في نتاجهم الادبي والصحافي . على ان الكثير من تلك الصحف العربية المهجرية انما كانت تنشأ لغاية وقتية ثم لا تلبث ان تموت في مهدها . كما يذكر الفيكونت فيليب دي طرازي في مؤلفه تاريخ الصحافة . الشيء الذي نبهني اليه حضرته يوم كنت ازوره للوقوف على بعض نماذج تلك الجرائد والمجلات قد يأخذك العجب إذا علمت انه صدر في الولايات المتحدة تسع وسبعون جريدة ومجلة عربية . وفي كندا ست وفي المكسيك سبع عشرة وفي البرازيل خمس وتسعون وفي كوبا ثلاث وفي الارجننتين ثمان وخمسون وفي تشيلي ثمان وفي ارغواي واحدة . وهناك جرائد ومجلات آخر اسست بعد زمن اصدار تاريخ الصحافة المشار اليه . فان دلت هذه الجداول الضخمة على شيء فانما تدل على ان وطننا جديداً اقيم لنا في العالم الجديد وأن اندلس جديدة قد بعثت من حيث توارت تلك « فذكا البنوت وانجب الجد » !

(١) مرجعوني الاصل له مؤلفات عدة في البرتغالية . وقد ارسلته حكومة البرازيل هذا العام ليحاضر في المعاهد اللبنانية في موضوع الآداب البرازيلية وكان لي حظ التعرف به

لغته وبيانه

يستخلص من مقدمة الشعر والشعراء ان ابن قتيبة يقسم الشعر الى اربعة اضرب . افضلها ما حسن لفظه وجاد معناه . فالالفاظ الحسنة في شرعه هي ذات المقاطع الحسنة والمخارج الحسنة . والعسكري يذكر ان العرب يفضلون في الغالب الالفاظ على المعاني التي هي في متناول العربي والعجمي . وانما السر هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه مع صحة السبك والتركيب . ويحسب ابن الاثير ان الشعر يقوم على إفراغ المعنى الشريف في اللفظ اللطيف . الظاهر ان مدار الفصاحة يتوقف في رأيهم على كيفية إختيار اللفظ وصوغه . ثم ان ابن الاثير يرى ان الاحتكام الى الذوق هو اجدى الامور . « واعلم ^(١) ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم . »

وكأني ببعض ادياء المهجر يأخذون براى ابن الاثير هذا فيحتكمون الى الذوق في كل امر . فيرى جبران ان الشاعر هو المسؤول الاول والاخير عن اللغة ومصيرها . يدلل على ذلك باللغة الايطالية الحديثة التي اصبحت لغة البلاد بعد ان كانت لغة « الهمج » من أبناءها وذلك على اثر منظومات دانتي فيها فيقول :

« إن خير الوسائل بل الوسيلة الوحيدة لاهياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفثيه وبين اصابعه . فالشاعر ^(٢) هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر . وإذا كان الشاعر ابا اللغة وامها فالمقلد ناسج كفنها وحفّار قبرها . » وفي مناسبة ثانية يقول : « لكم من لغتكم القواميس -

(١) المثل السائر ص ٣

(٢) بلاغة العرب ص ٥٢

والمعجمات والمطولات ولي منها ما غربلته الاذن وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مانوس تتداوله الناس في افراحهم واحزانهم . « ^١ ولخائيل نعيمة رأي في هذا الموضوع طريف جاء فيه : « ليست اللغة في ادق تراكيبها سوى مستودع رموز نرزمز بها الى افكارنا وعواطفنا فيحسن بنا الاحتفاظ بهذه الرموز ما زلنا قاصرين عن استبدالها بادق منها . ان بعض هذه الرموز يصبح على مرور الايام طلاسماً فالاجدر نبذه . ويقول امين الريحاني : « ان اللغة جسم لا ينمو الا بالغذاء الجديد . اقطع الغصن اليابس ولقّح الغصن الطري تسلم الشجرة فتتمو وتزهر . كذلك فعل دانتى في اللغة الايطالية وشكسبير في اللغة الانكليزية وهوغو في اللغة الفرنسية—وما هؤلاء بلغويين ولكن اللغوي يتبع الشاعر . » هؤلاء الثلاثة من ادباء المهجر الناثرين هم في نظري الموجهون الحقيقيون لتلك الحركة الادبية التي نشأت في العالم الجديد . والظاهر انهم يجمعون على التساهل (٢) في امر استخدام بعض الالفاظ العامة التي لا مقابل لها في اللغة الفصحى وعلى الاحتكام الى الذوق قبل اي شيء آخر . وعليه فان نعيمة راح يدعم جبران في اختياره لفظة تحمم بدلاً من استحمم لأنها اقرب مدلولاً واكثر استعمالاً من رفيقتها القاموسية استحمم ^(١) فتوهم البعض انه يشجع العامة .

كذلك يعبر عن هذه الثورة على لغة القواميس الشاعر المهجري الهزلي اسعد رستم في محاولة تجمع بين الهزل والجد :

عقنقل مع ديمقس وخنفقيق لها في النظم لست ارى لزوما
وما ذنبي إذا « الحنت » يوماً فقلت تلوح في الافق « النجوم »

(١) راجع ما كتبه نعيمة في غرباله

(٢) الا انهم لم يدعوا الى استخدام الحرف اللاتيني ولا الى تسكين الحرف كما

يشاء بعض المتطرفين المنفلسين

فانكي جبر ضومط والحريري و ابراهيم حافظ و «النسيما»^(١)

اما ادباء اميركا الجنوبية فكانوا يشاركون ادباء الوطن العربي في مهاجمة شعراء المهجر الشمالي فيقول احدهم «والادباء»^(٢) المهاجرون قسما ن فريق يقطن اميركا السكسونية كان سيل المحيط عليه جرافا فابعدده عن مواطن العربية فتحلل من بعض ربط قواعدها ولم يراع - ما عدا القليل منه - عهود لغة الآباء والاجداد ومال الى ادب الفرنج فنقل منه الى العربية غرائب الاستعارات والتشابه وتصرف في شق الالفاظ : وفي ذلك يقول^(٣) فرحات :

اصحابنا المتمرّدون خيالهم تقضي قريش به وتحيا حمير
لغة مشوشة ومعنى حائر خلف المجاز ومنطق متعثر

وفريق يقطن اميركا اللاتينية وبالاخص البرازيل وهؤلاء حافظوا على طريقهم من اداب العربية وزادوه تليدا « هذا وصاحب هذه الكلمة يعزو ضعف اللغة عند الشماليين الى بعدهم عن بلادهم مواطن البلاغة والفصاحة وهي نعمة قديمة العهد جداً . اما انا فأرى الامر يعود الى سبيين . الاول هو ان الجنوبيين ذهبوا الى بلاد غارقة في الجهل فكان عليهم ان ينشئوا المدارس العالية لا الابتدائية الدينية كما فعل الشماليون وبهذا يكون قد تسنى لادبائهم ان يظلوا على اتصال باسباب اللغة لاسيما الناشئون منهم . اما في اميركا الشمالية فالحالة تختلف تماماً قال الدكتور حتي :

(١) نسيم الخلو

(٢) مجلة الشرق عام ١٢ ج ٤ ص ٢

(٣) ذهب الياس فرحات الى اميركا لا يعرف اللغة فأثقفها هناك وكان زجالا في اول الامر .

« ليس من بلاد متوفرة فيها وسائل التعليم الابتدائي توفرها في الولايات المتحدة . فعلى كل طالب بين السادسة والرابعة عشرة من عمره ان يلازم المدارس العمومية المجانية ذكوراً وإناثاً . وفي كثير من الولايات جامعات تعرف باسمها (State Universities) يتمكن الطالب فيها ان يتعلم بنفقة زهيدة حتى يحرز اية شهادة كانت او رتبة علمية . »
ويذكر ان السوريين ما انشأوا هناك سوى المدارس الابتدائية الدينية^(١) وذلك الى جانب كنائسهم الخاصة . »

جاء في عدد ابى الهول التاريخي : « ان اول مدرسة عربية فتحت في العاصمة هي مدرسة نسيم الحوري بولس من برسا واول من تعلم فيها كان يوسف بدوي والدكتور يوسف نادر وهما مواليد هذه البلاد . »
ويضيف قائلاً : « اول مدرسة انشئت في سانبولو هي مدرسة الشدياق جبور يوسف عبد الأحد من مزياره . » وبعدئذ يأخذ المغتربون بتأسيس المدارس العالية . ومن هذه الكلية السورية البرازيلية للشيخ وديع اليازجي والكلية الوطنية للآداب والعلوم لرئيسها ومؤسسها لويس حايك والكلية الشرقية لسليمان الصفدي — مرجعيون .

ولعل السبب الآخر في اهتمام الادباء الجنوبيين باللغة وقواعدها يعود الى وجودهم في بيئة لاتينية . فالمدارس اللاتينية تعنى كثيراً بامور اللغة في حين ان المدارس السكسونية تعنى بالناحية العملية كما يشير الى^(٢) ذلك امين الريحاني .

ومهما يكن من امر فقد اجمع ادباء العربية في الامريكتين على تقدير الفكرة والخيال والعاطفة في الشعر قبل تقديرهم اللفظة والاسلوب .
فيقول الشاعر الناقد شكر الله الجر وهو يقدم ديوان رشيد الحوري

١ السوريين في اميركا ص ٩١

٢ التطرف والاصلاح ص ٣٧

« هي الدنيا » ما يلي :

« يتغنى بعضهم بالمتانة ويخصون الشعر الوطني والاجتماعي بهذه الميزة لفخامة وضخامة في الفاظه على حين ان المتانة في الشعر هي ان تأخذ الكلمة محلها من المعنى . »

اما ادباء الوطن فكانوا بين متحامل على لغة المهجريين وبين متساهل قال الدكتور محمد مندور وهو من اشد المعجبين بالأدب المهجري :

« نعم قد يخطئون في النحو والصرف ^(١) ولكن هذه في نظري اشياء نادرة لها نظائر هائلا عند اكبر الكتاب . والى اليوم لا يزال الفرنسيون يضربون المثل بفتير في الخطأ والاملاء . وانما يعيب الاسلوب عدم التجديد او العجز عن الانحاء وتلك عيوب لا وجود لها في شعرهم . اما استخدام الالفاظ المألوفة فلست ارى فيه موضع ضعف بل قوة . ذلك لأن الالفاظ المألوفة ولا اقول المبتذلة هي التي تستطيع في الغالب ان تستنفذ احساس الشاعر كما انها اقدر من الالفاظ المهجورة على دفع شاعرنا الى التداعي . »

على ان مشكلة الدفاع عن قواعد اللغة والتحرر منها ليست بالمشكلة الجديدة فقد تنبه لها النقاد منذ ان وجد النقد وكان الادب . وليس الذي يدافع عنه الدكتور مندور وسواه بما يصح ان يكون بدعة جديدة . يقول ابن قتيبة : « وقد اخذ الناس على الشعراء في الجاهلية والاسلام الخطأ في المعاني والاعراب ^(٢) وهم اهل اللغة وبهم يقع الاحتجاج فهل اصحاب الحديث في سقطهم الا كصنف من الناس . »

وبعد فانا لست ممن يرغبون في الخروج على اوضاع اللغة الا اذا كان في ذلك ما يؤول خيرا لا لهدمها . فالقاعدة في اللغة شيء لا بد منه

١ في الميزان الجديد ص ٥٥

٢ مختلف تأويل الحديث ص ٩٥

ولكنني اعود فاكرر بأن التطرف امر غير محمود العاقبة . فالرجعي المتطرف هو كلمة محرر المتطرف . غير ان الثاني اولى بالفضل إذا كان لا بد من الأمر . لأنه في الأقل ينظر الى الامام لا الى الورا . بيد ان الاعتدال هو افضل الحالتين !

قال الدكتور احمد زكي بك :

« ففي اللفظ يريدنا الفقهاء والمناصروهم ^(١) على ان لا يكون من الفصحى الا ما حوته القواميس او ثبت بالتحقيق انه جاء في كلام العرب والعرب القح الاولين . حتى لقد يحتج المحتج للفظ بيت متأخر فيقول قائلهم هذا مولى . ثم يقبل الحجة ان قبلها ساحماً وهو كاره . اما ان كان اللفظ عامياً صريحاً فهو لفظ منبوذ لا تقربه ايدي البراهمة من الكتاب فان هم احتاجوا اليه اضطراراً - لأن الفصحى لا تسعفهم بمثل معناه - فتحواله على الورق قوساً ثم اخذوا اللفظ باطراف اناملهم واسقطوه على الورق في عجلة اسقاطها حتى لا يطول مسه للبنان الطاهر . ثم هم عجلوا فاغلقوا عليه بقوس آخر خشية ان تفوح رائحته الكريهة . »

ويقول الدكتور عمر فروخ :

« ونحن اذا تناولنا جبران ^(٢) من ناحية السبك فاننا نتناوله من ناحية لا يستطيع احد ان يجادل فيها او يدافعنا عنها . والان نأتي الى اسلوب جبران في الشعر او الى « نظم » جبران على الاصح بعد ان نترك سرقاته لمقالات تتلو . وقبل نقد الاسلوب الفني ننقد اخطاءه اللغوية والنحوية » ثم يتناول حضرته كتاب المواكب بالنقد فيأتيك بالماخذ الكثيرة . وحسب القارىء بعضها ليرى الطريقة التي جرى عليها الناقد ويقف بنفسه على الاخطاء التي اختارها ويختارها سواه :

١ مجلة الهلال ج ٥ سنة ٥٢ ص ٦١٦

٢ مجلة الامالي السنة الاولى عدد ٣٥ ص ٢٧

(١) ومن لم يمش يندثر - المواكب ص ١٣ (والاصح سكونها ثم امالتها للقافية)

(٢) من آمن بنعيم الخلد مبشر - المواكب ص ١٦ (مبشر ؟ لم ترد في المعجم)

(٣) فان تحرز من ابناء بجدته - المواكب ص ٢٠ (والاصح ابن بجدتها قاموسياً)

(٤) تكاد تدمي ثنايا ثوبه الابر - المواكب ص ٢١ (الثوب لا يدميه وخز الابر)

(٥) ومن مستأنث خنث - المواكب ص ٢١ (استأنث ؟ غير قاموسية)

(٦) فمن يعانق يبقى - المواكب ص ٢٨ (والاصح فمن يعانق يبق)

(٧) هل تحممت بعطر - المواكب ص ٢٩ (هل استحمت بعطر)

(٨) فكلمنا رمت غابا قام يعتذر - المواكب ص ٣٠ (والصواب قامت لان الغاب جمع غابة)

وهناك اخطاء ثمانية اضرب عنها صفحا لضيق الوقت فاكتفي بهذه الشواهد الثمانية للبحث والمناقشة وارجو مخلصاً ان لا يسيء احد فهمي فانا اشكر للدكتور فروخ حرصه على سلامة اللغة ولكنه كان شديد التعنت في نقده . والظاهر انه من اصحاب المدرسة السماعية لا القياسية ولكلنا المدرستين حسناتها وسيئاتها . وانا اعجب من الناقد الذي يتناسى الفكرة او الصورة الشعرية في سبيل الحرص على قدسية اللفظة التي هي وعاء المعنى . يمكن استبداله ولا يغير كثيراً في جوهر ما يحمل . اذكر اني كنت اتغنى بجمال المقطع الشعري التالي لعمر ابي ريشة فقاطعني احد المستمعين وهو من اخلص اصدقائي عند لفظة غير قاموسية

هي لفظة « جانح » التي تمنى على الشاعر لو بدلها بلفظة « جناح » القاموسية
وعبثاً حاولت افنائه واليك المقطع الرائع الذي ينسبك ان تلهو
بأي شيء آخر :

اغلقي الباب اسرعي فعروقي تتلوى في قارص من دمائي
لا تشيرني الى السرير بلعظ رقصت فيه فتنة الاغراء
ان كاس الذات لم تتركني فيها بقية لسكرة عمياء
فاسدلي الستر دون نهدين ضجا واشرباً « كجناحي » ورقاء
انا اخشى عليهما لفحة البرد واخشى عليهما اغمائي

واذا عدت الى هذه الاخطاء الثمانية التي « ارتكبها » جبران قلت :
لعل جبران ادرك ما سوف يقال في اخطائه فتركها على ما هي عليه لانه
لم يقتنع منطقياً بصواب راي الغير . ولعله تسائل : اذا كانت الروي
نزولاً عند ارادة « الشرط » يقتضي التسكين أفلا يجوز تحريكه بالضم
نزولاً عند « موسيقى القافية » ؟ والا فما راي اسيادي اللغويين
بقول الفرزدق :

ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعم

الم تكن نعم ساكنة فحركها الشاعر بالضم ؟ بلى ! وإذا فما الذي
يمنع من التشبه بكرام القوم والتشبه بالكرام من دواعي الفلاح والصلاح !
ثم في الشاهد الثاني الا يحق لجبران ان يشق من فعل « بشر »
مبتشر بمعنى مستبشر ؟ فاذا كان الجواب نفياً فاي معنى إذن « لعملية »
الاشتقاق ؟ مع العلم ان اللغة العربية ما قدرت لها الحياة الا لانها لغة
ولود قبل كل شيء واي اعجاز اروع من توليد حوالي مئة واربعين
(١٤٠) لفظة من كلمة واحدة ؟ وفي الشاهد الثالث ما الذي يمنع جمع
ابن بجديتها - غير قولنا هكذا وردت ! - وفي الرابع الا يجوز ان

ترمز « الثياب » الى غير مفهومها العادي ؟ الم يقل الشاعر ولعلـه امرؤ القيس « فسلي ثيابي عن ثيابك تنسل » وقد عني شيئاً آخر قيل هو القلب وقيل غير ذلك . وفي الخامس الا يحق لنا ان نشق وزن استفعل من « انت » ؟ نحن نعلم ان وزن استأنث يفيد الطلب . وعليه فالمستأنث هو الذي يطلب الانوثة لنفسه وهو حتماً غير المتأنث . وفي السادس لا شيء يمنع في رأيي من اعتبار « من » اسم موصول لا يراد به الشرط . وفي الشاهد السابع قد يصح الاخذ بهذا الراي القائل : « خطأ مشهور خير من صواب مهجور » وهذه اللفظة — تحمم — حديث يطول فليرجع اليه في الغربال ^(١) حيث يحاول نعيمه تبرير استخدام هذه الكلمة وانا ارى رايه ولكنني لا اقف من سواه موقف المتعنت . وفي المأخذ الثامن والاخير اطلب الى الناقد الكريم ان يعود الى المواكب مرة ثانية . لعله يرى ان الضمير في « قام » لا يعود الى الغاب بل الى الدهر . ثم هب جبر ان اراد به العودة الى الغاب لمعنى آخر فانه يبقى في حل من الخطأ . ذلك لان الغاب من اسماء الجمع واذن يصح اعتبارها كالمفرد المذكور . اقول هذا وارجو مخلصاً ان لا يفهم من « دفاعي » — اذا جاز تسميته هكذا — انني راضٍ عن كل ما دعا اليه المهجريون ^(٢) من اصلاح وتطور . وما احسب ادباء المهجر (سواء المتطرف منهم والمعتدل) يرضون عن استخدام العامية واحلالها محل الفصحى . وانما هم يدعون الى غربة الالفاظ واختيار الاصلح منها بالنظر الى صحة مدلول الكلمة وتوفر الايحاء المرتجي فيها . وجل ما هنالك ان الكاتب يضطر احيانا الى تبني الالفاظ العامية التي لا مقابل لها في اللغة الفصحى والتي قد يكون لها مقابل ولكن لتقادم العهد عليها اصبحت لا تفيد ما يفيده اللفظ الجديد المولد . فهناك الفاظ عامية لها لونها الخاص وجوها الخاص

(١) الغربال ص ٩٨ (٢) هنا يحسن بي ان اطلب الى المشددين في الحفاظ على القاعدة ان يطلعوا على كتاب احياء النحو للعلامة مصطفى ابراهيم فقيه الكفاية .

بحيث لا يصح الاستغناء عنها . مثال كلمة « قرقور » التي يستخدمها اللبنانيون والسوريون للحمل الصغير الحلو تحبباً وتلطفاً . وترد هذه الكلمة في قصة العاقر للأديب مخايل نعيمه في كتابه القصصي « كان ما كان » فهل من العدل الفني في شيء ان نطلب الى واضعها ابدالها بالحروف او الحمل لأن لفظة قرقور لم ترد في القاموس الا بمعنى السفينة العظيمة ؟

لقد آن لنا ان نفهم الادب فهما واقعيًا صحيحًا يتماشى مع فهمنا الحياة وادراك مراميها . وغني عن البيان ان مثل هذا الادب لا بد له من ريشة فنية توشحه بالظلال الندية والالوان المشرقة . وربما كان القصصيون وهم الذين ينتزعون حوادثهم في الغالب من صميم الحياة ، اجدر الادباء بتبني بعض هذه الالفاظ العامة التي تلقي على قصصهم ظلاً من الواقع لا يمكن الاستغناء عنه مهما شط بهم الخيال . الا اذا كانت الحكاية قديمة في موضوعها ومادتها . فلنجدد والا فعبثاً نطلب نهضة وننشد تقدماً !

وبعد فليست قيمة المواكب الجبرانية متوقفه على لفظة اقرّها المعجم العربي او تنكر لها . وإنما القيمة كلها في هذه القصيدة الرمزية بالفاظها وخطوطها ورسومها والتي لم يكن من الامر العسير عليّ ان افهم رموزها لولا الاستعانة بزميله وصاحبه مخايل نعيمه . ثم هي قصيدة بعد كل ذلك عالية الرسالة نبيلة القصد لا يضيرها ان يخفق صاحبها في اخراجها المغوى بعض الاخفاق او ان يلحن بعض الشيء وهو الذي عاش في بلاد يصح بها قول المتنبي :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

مقاييسه الادبية

انني وان كنت غير معني بتاريخ النقد الادبي في دراستي هذه، لأجد نفسي مضطراً الى الوقوف مرة ثانية على ما كان عند العرب القدماء من مقاييس ادبية لعل في هذا الوقوف ما يساعد على تلمس الفرق الكائن بين الادبين القديم والحديث ان كان هنالك من فروق جوهرية .

لعلك ذاكر ان النقد كان قد مر باطوار مختلفة قبل ان وصل الى ما وصل اليه في يومنا هذا . فالذي يلاحظ من دراسة كتب النقد كالتى وضعها ابن قتيبة وقدامة والعسكري والجرجاني وابن رشيق وسواهم من ادباء العصر العباسي يجد ان الشعر لا يخرج عن كونه كلاماً موزوناً مقفى له معنى . فيقول صاحب العمدة في باب حد الشعر وبنيته : « انه ليتألف ^(١) من اربعة اشياء هي اللفظ والوزن والمعنى والقافية » . واللفظ في نظره هو الجسم وروحه المعنى . وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته . ويضيف قائلاً : « واكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى » والملاحظ أن العسكري لا يختلف عن ابن رشيق في كثير او قليل . فهو يحسب ان المعاني مشتركة ^(٢) بين جميع العقلاء . وربما وقع المعنى الجيد للسوقي والنبطي والزنجي . وانما تتفاضل الناس في الالفاظ ووضعها وتأليفها ونظمها . واذا فلا اهمية للخلق والتوليد عندهما بالنسبة للمعاني . فعبقرية الشاعر تتجلى في مقدرته على الجمع بين الالفاظ جمعاً بيانياً جميلاً . وما احسب ان نقاد العرب انتبهوا الى امكانية ما قد توحيه اللفظة الواحدة احياناً من صور وظلال وما تخلق من جوا .

(١) العمدة ص ٧٧

(٢) الصناعتين ص ١٨٦

واحاسيس . الاشياء التي يتغنى بها شعراء الرمزية اليوم . وانما نظروا الى الالفاظ من حيث فصاحتها مفردة وبلاغتها عند التركيب . هذا وكثيراً ما تتوقف فصاحتها على شهرة من استخدمها .

وغني عن البيان ان العرب القدامى لم يعنوا بالقصيدة كوحدة تامة او بالاحرى كوحدة فنية تجمع شتى الالوان ومختلف الالوان لتحقيق صورة شاملة او توقيع سمفونية تامة . فكانوا ينقدون القصيدة كلمة كلمة وبيتاً بيتاً . وليست المعاني في حد ذاتها سوى تلك التشابه المشتركة فيقول ابن رشيق على لسان حاذق : « ان المعاني موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والحاذق » الا ترى لو ان رجلاً اراد في المدح تشبيه رجل لما اخطأ ان يشبهه في الجود بالغيث وفي الاقدام بالاسد . لا مشاحة في ان مقاييس القدماء كانت اولية ساذجة في بادىء عهدها وان كان بعضها لا يخلو من صحة وجمال . قيل لابي عمرو بن العلاء اي بيت تقول العرب اشعر ؟ قال « البيت الذي اذا سمعته سامعه ^(١) سوّلت له نفسه ان يقول مثله . ولأن يחדش انفه بظفر كلب اهون عليه من ان يقول مثله » . وقيل لعميرة ما اشعر بيت قالته العرب ؟ قال الذي لا يحجبه عن القلب شيء . وقيل للاصمعي اي بيت تقول العرب اشعر ؟ قال الذي سابق لفظه معناه » . والاقوال التي هي من هذا النوع كثيرة . ما يزال اثرها عالماً في نفوسنا الى جيلنا الحاضر .

اما في الطور الثاني والثالث فقد اخذ النقد بالتوسع كما رأينا عند نقاد العصر العباسي . واخذ الناس يعنون بالمعاني حيناً وبالقول حيناً آخر . والناقد اليوم لا يسعه الا ان ينظر الى القصيدة كوحدة تامة لا تعرف التجزئة . فينظر الى ملامح الجمال في القطعة الواحدة بصورة عامة وينظر الى تألف الاجزاء واختلافها الى انسجام الالوان وتنافرها . ومن

ثم الى شخصية الشاعر ومزاجه واثر ذلك في نتاجه الادبي . ولعل العرب لم يعرفوا هذا النقد الشامل الجامع الا في نهضتهم الاخيرة . خصوصاً بعد التنبه الى تقسيم الادب الى مدارس المعروفة كالادب الواقعي والرمزي والابداعي والبرناسي والسريالي وما الى ذلك من مدارس ادبية . على ان العبرة ليست في المدرسة التي ينتسب اليها الاديب بل العبرة في المادة التي يتناولها في الخلق والابداع . وبالطبع فقد كان الاديب اللبناني اسبق من سواه الى الاخذ بسنة الشعر الحديث والعمل بمقاييسه الجديدة . وذلك عائد الى اتجاه لبنان شطر العالم الغربي . ولهذا الاتجاه اسباب كثيرة تمتد بجذورها الى استقلال هذا البلد نوعاً ما عن السلطنة العثمانية . بحيث اتسع المجال امام الارساليات الغربية الى تأسيس الكليات والمدارس فيه . ومنها هذه الكلية الاميركية المعروفة اليوم بالجامعة الاميركية . وكانت تعرف في عهدها الاول بالمدرسة الانجيلية وقد فتحت ابوابها لأول مرة في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٦٦ .

وكانت مسيحية لبنان مساعداً اساسياً في ذلك الميل الى الغربيين والاخذ عنهم . يؤيد هذا القول الاديب الكبير الاستاذ احمد امين في مناسبة تحدّثه عن مدحت باشا ومساعيه لانهاض الشرق العربي واصلاحه قال : « فالامراض فاشية والجهل عميم والمسلمون ^(١) في ذلك اسوأ حالا من المسيحيين . لان الجمعيات المسيحية في الامم الغربية تعين مسيحيي الشرق بفتح المدارس لهم ونشر التعليم بينهم والمسلمون حائرون بين اقدام على التعليم في هذه المدارس مع التعرض لما يمس دينهم وبين الاحتفاظ بدينهم مع الاحتفاظ بجهلهم »

ولم يكن نفور المسلمين من المدارس الاجنبية مقصوداً عليهم دون اخوانهم المسيحيين بل كان من المستصعب جداً على المسيحي الماروني

مثلاً ان يلتحق بمؤسسة ارثوذ كسية وعلى الارثوذ كسي ان يلتحق بمدرسة انجيلية والعكس بالعكس . وكيف كان الحال فقد سار لبنان في طليعة البلدان العربية في طلب العلم يعود الفضل في ذلك الى المدارس الاجنبية لا الحكومية ولا الشعبية فهي ما تزال ضعيفة حتى يومنا هذا .

ولذا كان من الطبيعي ان يتقدم هذا البلد اشواطاً بعيدة في مضمار الفنون والاداب . اليك شهادة الروائي المعروف توفيق الحكيم :

« فأدبنا الحديث ادب ^(١) مراحل بل ادب موجات متداخلة . فالموجة الاولى سورية . قد اندفعت من سوريا ولبنان وهي موجة يمكن ان ندعوها بالكلاسيكية الجديدة . بعثت الحياة في الادب عن طريق تلقيحها الاسلوب القديم ببعض الفكر الغربي . وهي موجة انتجت الشدياق واليازجي وفرح انطون . واخرجت في مصر بعض شعراء الجيل الاسبق وكتابه . ولعل الرمز الاكمل هو تعريب البستاني للاباذة . والموجة الثانية امريكية وهي التي انطلقت من المهجر . ففي المهجر للمرة الاولى في ادبنا الحديث ولدت المدرسة الرومانتيكية العربية وانبجس الشعر الغنائي والنثر الصوفي . حاملاً نسيم لبنان الى الحضارة الامريكية ممثلاً في الريحاني وجبران ونعيمه وابي ماضي » وبمثل هذا البيان تقريباً يدلي الدكتور طه حسين فيقول :

« ان من يزعم ^(٢) من ادباء الشرق العربي المعاصرين انه ليس مديناً للبنان بشيء من ادبه فهو منكر للحق كافر للنعمة جاحد للجميل »
ومما جاء في تعليق الاستاذ محمد حاج حسين على كتاب الدكتور فائز عون الذي وضعه في ادب فوزي المعلوف قوله :

(١) مجلة اصدااء عدد ٦ ص ٣ سنة اولى

(٢) مجلة المكشوف السنة العاشرة عدد ٣٨٦ ص ١

« وساعد مطران على التجديد والثورة قرائته للآداب الاجنبية وخصوصاً الفرنسية ودينه المسيحي الذي كان ^(١) يحرقه من ربة الماضي وتقاليده الراهقة. فكان ينغم عواطفه واصداؤه للطبيعة بوحدة موثقة . وشوقي غارق في المديح منكب على التمرغ في القصر ذلك القصر الذهبي الذي سجن فيه شاعريته » .

هذا ولست اريد ان اذهب بالقاريء الكريم بعيداً ولكنني احببت قبل البحث في الموضوع الذي نحن في صدد ان اشير الى بعض تلك العوامل التي دفعت المهجرين الى الثورة على بعض مقاييس الماضي من اعتبارية وغيرها .

قال نعيمه في غرباله تحت موضوع المقاييس الادبية : « اذا كان في الادب من اثار خالدة ففي خلودها برهان على ان في الادب ما يتعدى الزمان والمكان . وجلي ان المقاييس التي نقيس بها مثل هذه الاثار لا تنقيد بعصر ولا تتعلق بمصر . اذن ففي الادب مقاييس ثابتة تتجاوز الزمان والمكان واهمها :

اولا : حاجتنا الى الافصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية .

ثانياً : حاجتنا الى نور نهتدي به في الحياة وليس من نور غير نور الحقيقة .

ثالثاً : حاجتنا الى الجميل في كل شيء ففي الروح عطش لا ينطفي الى الجمال

رابعاً : حاجتنا الى الموسيقى . ان لمفردات اللغة التي نصوغ منها منشوراتنا ومنظوماتنا صفات عجيبة وميزات غريبة . فلكل كلمة معنى او

روح ولكل كلمة صبغة او لون « وقول نعيمه هذا يتماشى كثيراً
والمدرسة الرمزية . مع العلم ان الادب المهجري كان بعيداً عنها بسبب
نزعتة الى الوضوح . الا ما كان من ادب جبران الروحي الصوفي . والاشعار
الصوفية كانت وما تزال تلجأ الى الرموز فشعر ابن الفارض مثلاً يزخر
بتلك الاشارات الغامضة والمعاني المموهة .

بما لا شك فيه ان جبران وان لم يضع مقاييس واضحة معينة
مسؤولة كان قد دعا الى نبذ ما في بعض الادب القديم من مقاييس
تقليدية عقيمة . فقد كان السواد الاكبر من نقاد العربية يتمدحون الشاعر
الطويل النفس الكثير النتاج الصانع في محاكاة من سبقوه من القدامى
على غير ما اعتبار احياناً لجوهر مادته . فكثيراً ما كان « السم » الادبي
دليلاً على تفوق الشاعر . وبعبارة ثانية فان بعض النقاد كانوا يقيسون
الشاعرية بمقياس الكمية لا النوعية .

اجل ان مقاييس جبران لم تكن واضحة الحدود ولعلها كانت واضحة
فيما كتب والتف . وبالرغم مما اخذ عليه من اخطاء لغوية وبيانية فانه
يبقى في طليعة الادباء المجددين . قد لا اكون مغالياً اذا انا اعتبرته
الموجة الاولى لادباء المهجر في الدعوة الى التجديد والموحي الاول
للكثيرين منهم . أقرأ مقالته « العبودية » مثلاً وقابلها بمقطع العبودية في
قصيدة على بساط الريح لفوزي المعلوف تجد شبهاً كبيراً . ولعل الاديب
المهجري الوحيد الذي استطاع ان يترك مدرسة تعرف باسمه هو جبران
خليل جبران . فهو الاديب الذي ثار على الكثير من مقاييس الماضي
ولا سيما اغراض الشعر التي نظر الى بعضها القدماء نظرة تقدير واعجاب .
فقالوا عند التحدث في مزايا امرىء القيس . « هو اول من وقف واستوقف
وبكى واستبكى » الامر الذي دعا ابا نواس الى ازدرائه . ولكن

ابا نواس فعل ذلك بدافع اللذة الايجابية من ناحية والنزعة الشعوبية من ناحية ثانية .

ومن ثورة جبران على اغراض الشعر قوله :

« لكم منها الرثاء والمديح والفخر والتهنئة ولي منها ما يتكبر عن رثاء من مات وهو في الرحم ويأبى مديح من يستوجب الاستهزاء . لكم منها « الفصيح » دون « الركيك » « والبليغ » دون « المبتذل » ولي منها ما يتمتع به المستوحش و كله فصيح وما يغص به المتوجع و كله بليغ . »
إنّ دعوة المهجريين الى التجديد في الغرض والاسلوب واللغة لا تحتاج الى دليل . سواء في المقاييس التي وضعوها او في القصائد والمقالات التي نظموها ونثروها . وانا احسب ان ثورة جبران على قواعد اللغة لا تخلو من انانية . فقد كان الرجل ركيك اللغة . وليس في اجتهادي حين حاولت الرد على أحد ناقديه الدكتور فروخ ما يبرر لجوء الأديب الى الجوازات الكثيرة في حين ان اللغة العربية تتسع لمن يرغب بالسعة . بل هي ارحب اللغات الحية على الاطلاق امام الشعراء لكثرة ما فيها من المترادفات والمشتقات .

والدليل على ضعف جبران اللغوي واضح فيما يذكره نعيمه من صاحبه يوم أراد تنبيهه الى هذا الخطأ الفاضح حين قال :
فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر
فيقول نعيمه انه لم يتمكن من إقناعه لا (١) بالاعراب ولا بالمنطق .
ثم يشير الى أن هذا البيت من الشعر وجد صحيحا في الطبعة المصرية حيث جاء الشطر الاخير :

وسارق الحقل فهو الباسل الخطر .

ومن الاشياء التي يريد ابا ماضي لاختوانه الشعراء والتي قد تعتبر

توجيها خاصا لهم رغبته في ان يكون شعرهم صورة للحياة . فهو يعلن كرهه للشعر ^(١) الباكي ويحمل على الاديب سليم ابي جمره لشعره بالك يقول فيه :

حملت هموم الحياة طويلا ولدت وجاء الشقاء معي
فيعلق على قصيدته قائلا : « صاحب هذه المقاطع الشعرية الباكية
في ضعف وخور المرتجفة في كآبة وقنوط (تعبير جبراني) في الثلاثين
من عمره كما يعترف في العبارة التي توجهها بها وهي : « حملت سراجي
ثلاثين عاما » وهي السن التي يقتحم فيها الشباب المخاطر ضاحكا ويركب
الأهوال طروبا الخ . »

ويكره ابو ماضي ان يكون هناك اشارة في الشعر لان في ذلك
شيئا من التضليل والتدجيل . فقد يسف الشاعر في ناحية ويخلق في
ثانية . ومن ذلك غضبته على الدكتور طه حسين حين قال :

« إن زعامة الشعر التقليدي في مصر ^(٢) قد انتقلت بعد وفاة شوقي
الى العراق وسوف يتنازعها هناك الرصافي والزهاوي . »
فيرد ابو ماضي قائلا وقد يكون مدفوعا بعامل الانانية :

« إنها كلمة جرى بها قلمه في غير تمحيص وتناولها كثيرون
وفسروها بلا تمحيص . فالشاعر التقليدي لا يصح أن يحسب في الشعر
فكيف يصح أن تكون له زعامة » . كذلك للريحاني رأي في الشعر
الصحيح ومقاييسه جدير بالعناية . وهو رأي مثبت بوضوح وتفصيل في
كتابه « انتم الشعراء » ^(٣) انقل منه هذه الاسطر القليلة قال :

« إن في بنات خيال الشعراء العبقريين وبنات افكار الفلاسفة الكبار
لفلسفة هي الشعر وشعرأ هو الفلسفة . اما الحقيقة الكبرى — الحقيقة السابغة

(١) مجلة السمر سنة ٣ عدد ١٤ ص ٦٢٧

(٢) مجلة السمر سنة ٤ ج ١٧ ص ٢

(٣) وقد رد عليه بعض شعراء لبنان بكتاب آخر عنوانه « أجل نحن الشعراء »

الشاملة الدائمة الثابتة . انما هي التي تجمع بين الحقيقتين . بين ما يدركه الشاعر بحسه الدقيق وما يدركه الفيلسوف بعقله المحيط . هي حقيقة غوته في فوست وهي حقيقة شكسبير في هملت . وهي حقيقة المعري في اللزوميات . ثم ينتقل الى الشعر الباكي فيقول :

« هولاء يبكون ويتوجدون - اما تقليدا لان بدويا في قديم الزمان بكى الاطلال والدمن واما تمويها لانهم تعلموا في المدارس ان الشعر من الشعور - فقط - وان اشد حالات الشعور في الشعر هي الدموع - الى قوله : وهل في شعرائنا نحن العرب من كان اسوأ حظا واشد بؤسا وارق شعورا من رهين المحبسين ابي العلاء المعري ؟ ومع ذلك فانك لتنسى اله الشخصي عندما تسمع في شعره انّ الم القومي بل الانساني . »

يستدل من هذه الاقوال وامثالها أنّ موازين اليوم تختلف عنها في الامس . وان المهجريين عموما يرغبون بأن يروا في الشعر مادة جديدة وقالبا جديدا وغرضا جديدا غير البكاء والرثاء وغير المدح والهجاء . وليست الالفاظ والقوالب بحد ذاتها شيئا هاما بالنسبة لما تنقل من فكرة جديدة ومعنى مبتكر . وبالتالي بالنسبة الى الرسالة التي يتوجب على الاديب أن يضطلع بها فكأنني بهم اول من دعا الى ادب الالتزام . هذا ما يراه معظم ادباء المهجر الشمالي . اما ادباء المهجر الجنوبي فقد كانوا اكثر اعتدالا واكل اندفاعا في مضمار التجديد . مع ان ادبهم لا يقل عن ادب اخوانهم الشماليين في شيء فيقول الشاعر شفيق المعلوف :

« أفهم بالتجديد في شعرنا العربي ان نرأب ثمة لا ان نشعر ثلمات وان نخرج به من المحاكاة الى الابتكار ^(١) مستحدثين له المعاني التي نريدها نحن لا التي تجرنا اليها القافية دون ان نخرج على روح اللغة وروابطها

الصحيحة . او ننزل عن تخيلاتنا الشرقية الموسومة بطابع خاص يميزها
عن تخيلات شعراء الغرب .

وآية القول ان المهجريين حاولوا التجديد وتغنوا به ودعوا اليه .
وسأكتفي بهذا النزر من الشهادات على ان اعود الى هذا الموضوع في
مناسبة ثانية !

ولكنني قبل الفراغ من هذه الحلقة اود ان اشير بأن في تبني الشعر
المنثور وفي استخدامه فيما نظم المهجريون برهانا على ان المقياس الذي
وضعه القدسي « من ان الشعر كلام مقفى موزون » لم يعد صالحا
للاستعمال في شرع الكثيرين من ادبائنا المغتربين . وكان الريحاني في طليعة
حاملي لواء المقاومة ولن اطيل في هذا الباب غير انني اود ان اشير بأن
حماس الريحاني للشعر المنثور قد لا يكون خاليا من الهوى . فقد حاول
النظم في لغة الآباء والاجداد (٢) فما افلح ولكنه نظم الشعر في لغة
شكسبير . فنقل اليها شعراً رباعيات المعري The quatrains of Abu-Ala
ووضع مترجما عن قلبه الخاص ديوانا صغيرا سماه نشيد الصوفيين .
A Chant of Mystics ومهما يكن من امر دعوته فقد اخذت اقلام المجددين
من الادباء تتجه نحو هذا اللون من الشعر الطليق . وانا احسب ان
هذا الشعر الحر اول ما وجد كان في ما انزل على انبياء الله من وحي
ما يزال يرتل في معابده . كما في مزامير داود وسور القرآن الكريم . حتى
ليظن ان جميع ما عرف البشر من ضروب الكلام التعبدي جاء على
شيء كثير من سحر الايقاع وهمس الحروف . على رجاء ان تكون
الدرجات الموسيقية سالماً ترتقيه النفس الى عالمها الذي هبطت منه الى
ارضنا هذه !

(١) راجع اطروحتي في امين الريحاني وهي ما تزال مخطوطة بين امثالها في
مكتبة الجامعة الاميركية .

جديد هذا الشعر

يحسن بنا ان نتلمس هذا الجديد في شيئين لا ثالث لهما . فهو اما ان يقع في المعنى او ان يقع في اللفظ . وهذا الاخير يشمل غالباً : القالب الشعري والاسلوب واللغة والموضوع والنوع . اما النوع فلم يتعد في آدابنا العربية حدود الشعر الغنائي . (Lyric) ولا يضيرها ان تأتي خلواً منه . وانه لمن المضحكات محاولة البعض ايجاد الملحمة الشعرية لمجرد التعويض عما فاتنا منها . الا اذا كان الدافع حقيقاً بالافصاح عنه . بيد ان المجال متسع للشعر القصصي والمسرحي منه . فقد لا ترى بلداً في العالم يضاهي هذا البلد في اسباب المسرح من حياة زاخرة بالملاهي والمآسي . ولقد نهض شوقي يرأب هذه الثمة فافلح حيناً واخفق حيناً آخر . ولا يضيره في ان يسبقه الشيخ خليل اليازجي للعمل المسرحي في قصائد جاءت اقرب الى النظم منها الى الشعر الصافي .

هذا وليس في ترجمة الملاحم العالمية ما ينقص من قدر المترجم . بل بالعكس فان في ترجمة سليمان البستاني ^(١) الياذة هوميوس الى لغة الضاد عملاً يبهض النفس . ولكنه عمل جليل لما فيه من لقاح فكري قمين بالتوالد المثمر . كما انه جدير بالتقدير والاعجاب . ومهما يكن من امر فجري بنا ان نتلمس معالم هذا الجديد قبل كل شيء في المعاني على اعتبارها الدر الذي تحويه اصداف الالفاظ .

في المعنى

يقصد بالمعاني عادة ما يكون هنالك من تشابه طريفة واستعارات مشرقة وكنائيات مبتكرة لم يسبق اليها . كما قد يشمل المعنى رسالة

(١) ولقد قام بستاني آخر بترجمة المهرات - الملحمة الهندية الكبرى - الى العربية . هو الشاعر الطيب الذكر وديع البستاني .

الفنان التي يهدف اليها والخطورة التي يكتشفها او يكشف عنها . وبالتالي يقصد بالمعاني ذرى الجمال التي يشارفها الشاعر .

وجدير بالذكر ان المعاني لا تخطر ببال الشعراء على درجة متساوية بسبب العوامل التي تعمل من وراء ستار الحياة نفسها . كلنا يعلم ان دالية المعرّي هي اروع قصائده واعمقها غوراً وابعداً أثراً . ولكن قل من تنبّه الى انها من وحي انطفاء باصرته واشراق بصيرته . فالبيت الذي يقول فيه :

خفف الوطء ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد
لم يخطر بباله لو لا سقوطه وتعثره مراراً . وبعبارة ثانية لو لا اتصاله الوثيق المرير بالارض حجارة وتراباً . فلکم عثر ولاکم تلمس فلم يجد بين يديه سوى حجارة القبور تسد عليه طريق الحياة . تلك الحجارة او الانصاب التي تنتشر في جوار معرة النعمان وغيرها من الضياع العربية والتي ما تزال قائمة شاهداً على ما افترض الى يومنا هذا .

كذلك كثيراً ما يتوقف الجديد في المعاني على الجديد في الموضوعات او الموجودات . من ذلك قول الشاعر القروي :

لا انشد الشعر الا حين يجرحني سيف الزمان ويشقي قلبي الترح
مثل الفنغراف يبقى ساكناً ابدأ وليس ينشد الا حين ينجرح
« لقد ذكر في كتاب « الصناعتين » ان المعاني مشتركة عامة . بحيث لو اراد المرء تشبيه احدهم بالشجاعة لبادر الى تشبيهه (١) بالاسد الخ . »
ليس في قوله هذا دلالة على ان اقتباس التشابه الواحدة وتوارثها كانا سبباً من أسباب العقم البياني ؟ مع ان المدقق في درس الناحية البيانية من الشعر العباسي ليجد الوفرة من توليد المعاني . ذلك التوليد القائم على التقريب من المعنى البعيد .

إن وجود التشبيه الضمني لشيء يستوقف الانتباه بصورة خاصة .
 ذلك التشبيه الذي لا مبرر له سوى الدليل المنطقي . ما يملك على
 الاعتقاد بوجود اثر فلسفي في صنعة الاخراج ابان ذلك العصر المختمر
 بالروح الفلسفية . كقول ابي تمام مثلاً :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
 فكأن في هذا المعنى مفرغ في قالب منهجي يمشي بك من المقدمات
 الى النتائج . ومثله قول المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
 وإنا لو شئنا احصاء ما ولد كبار شعراء العرب من معان رائعة
 لضاقت بنا الصفحات . وكثيرا ما يحدث - في عملية الخلق والتوليد
 سواء كان ذلك في البيت الواحد او في القصيدة الواحدة - ان يأتي
 الشاعر مثلاً بتشبيه جديد ثم يتناوله شاعر آخر بطريقة جديدة . فيعود
 المعنى الى جذته وطرافته . وقد يحدث ما هو عكس ذلك بحيث يصبح
 الجديد مبتذلاً .

لقد اكثر الشعراء العرب قديمهم وحديثهم من تشبيه الاسنان مثلاً
 بالبرد . فقال احدهم ومنهم من ينسب هذا القول الى يزيد بن معاوية :
 واستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد
 وهو معنى جميل . ليس لان الشاعر شبه الاسنان بالبرد فحسب
 بل لانه وُفق الى هذا الجمع الحبيب بين المطر والنرجس والعناب
 والبرد فوضعك من حيث لا تدري في جنة حلوة شهية وفي جو ندي
 ناعم بليل !

وقال عمر بن ابي ربيعة :

يرف إذا يفتقر عنه كأنه حصي برد او اقحوان منور
 فجاء البرد هنا بصورة لطيفة موحية تحسّ معها بأن تلك الشفاه وردة

ربّا أو روضة تفتقر عن برد وعن اقحوان . ففي هذا العطف تقوية للمعنى السابق وبالتالي تقوية للتأثير الاليجائي .

وتناول المتنبي هذا التشبيه بطريقته الخاصة المطبوعة بطابع الغلو . فجاء غلوه مستعذبا وجاء تشبيهه ينبض بالحياة . ولعله اول من حجب الشعر الكاذب الى قلوب الناس فقال .

وبسمن عن برد خشيت أذيبه من حرّ أنفاسي فكنت الذائبا

فوضع السامع عند قوله « خشيت أذيبه » في جو من اللفظة والتشويق والاشفاق . وإذا كان من المعقول جدا ان يحدث التجديد في المعنى على هذا النحو من التوليد المتفاعل . كذلك من المعقول كثيرا ان تأتي التشابيه والاستعارات وما اليها جديدة طريفة في ادبنا المعاصر بالنسبة الى ما توفر لدى الانسان من اشياء جديدة مستحدثة . وهو في نظري السبب الاول للخلق والابداع . قال الشاعر شكر الله الجر مخاطبا الشلال .

احقا انتك بجنح الدجى	من الغاب (١) جنية ساحرة
وكنت قديما سحابة صيف	تمر بغاباتها عابرة
لذا حولتك الى جدول	لكي تستحم بك الماكرة
فصرت وساما بصدر الربيع	وصرت حلينا بجيد الحقول
تردد منذ قديم الدهور	صدى نغماتك كل الفصول

ففي تشبيه الشلال على صدر الربيع بالوسام دليل على ما للحياة الاجتماعية من أثر في خيال الشاعر . ومثل هذا المعنى لم يكن من المعقول ان يخطر ببال شعراء الجاهلية وغيرهم من المتقدمين . على ان بعض النقاد اليوم قلما يذكرون هذه الحقائق . فهم لا يرضون عن ان

يكون الادب المهجري على شيء من الجدة في معناه أو في مبناه . بل هو في نظرهم لا يختلف عن الادب الاندلسي في شيء . وهو قول مردود من اساسه . ذلك لان عملية الخلق سواء في الجزء كما في البيت الواحد أو في الكل كما في القصيدة التامة عملية تتم تحت عوامل عدّة . منها الموهبة التي تتجلى في القلب الحساس . تلك الهبة السماوية التي تزود بها السماء ابنائها . بحيث يولد الفنان وفي قلبه قيس من نورها . فيرى منذ صغره نزاعا الى الجمال . وهو حيث يجده يحاول جهده ان يقيم منه تمثالا يعبد ونغما ينشد . ولهذا كان لا بد للبلاد الجميلة من التأثير على ابنائها والايحاء اليهم بكل ما هو رائع وجميل . كذلك للتربية الفنية والثقافية العالية اثرهما في نفس الشاعر أو الموسيقي أو المصور بحيث تتضافر هذه العوامل على الخلق في مجال الابداع .

قال الدكتور محمد مندور « قد يتساءل القاريء : لم استطاع شعراء المهجر ما لم يستطعه غيرهم ؟ وجوابي هو - لانهم قد يكونون من بلاد تحرك مناظرها الجبلية من الخيال ما لا تحركه السهول . ومن جنس^(١) يشهد له التاريخ بالنزوع الى المغامرة والتوثب . ثم إن غربتهم بأمريكا وكفاحهم من اجل الحياة قد ارهف حسهم وقوى من نفوسهم . واخيرا وهذا هو السبب المهم - لانهم قوم مثقفون قد امعنوا النظر في الثقافات الغربية التي لا غنى لنا اليوم عنها . الثقافة هي التي تشع في الفاظ هؤلاء الشعراء . وانك لتقرأ الجملة لهم فتحس ان خلفها ثروة من التفكير والاحساس » .

ومن هذا القبيل شهادة الروائي العربي اللامع توفيق الحكيم حيث يقول : « لا أمل لنا في تجديد الادب العربي الا بالاطلاع الواسع والثقافة الشاملة . إن تربية اهل^(٢) الادب في مصر حتى مطلع هذا

(١) في الميزان الجديد ص ٦١

(٢) مجلة الاديب ص ٢ ج ١٢ سنة ٢

العصر هي تربية لغوية قوامها الكتب . ان التربية الكاملة الشاملة تختلف
الفنون منذ الصغر هي التي تنمي عند الاديب الاوربي ذلك الاحساس
بالتناسق الفني الذي يرفعه الى هذه المرتبة من الخلود والابداع »

و كآني بكلامه ينطبق الى حد بعيد على شعراء المهجر . على انه يجب
ان يكون للموهبة في نظرنا - الى تقدير الاديب - المقام الاول . فرب
شاعر وهبته الطبيعة قلباً ملها هو اشعر من اي نظام كامل التأديب
والثقافة . إن تاريخ الادب ملآن بالشواهد . ففي الشعر العامي اللبناني
اليوم من الشاعرية ما لا نجدده عند فحول الشعراء . ذلك بالنظر لما في
شعرهم العامي من عناصر الشاعرية . من موسيقى الى خيال الى دفء عاطفي
الى صور رائعة .

من ذلك قول شاعر الضيعة اميل مبارك :

سنونو تغط مقابيلي	لا تخاف مني ولا تهتم
ترفرف حولي تكاغيلي	تا تفهمني انما ام
وتصير تجيني بجيله	ومن صوف الغنات تلم
وتحسب حالها من العيله	والها حق بطاقتنا

ولعل ابلغ شعراء لغة الحياة اليومية : رشيد^(١) نخله . اسعد خوري
« الشحرور » . علي الحاج . اسعد سابا . وليم صعب . عجاج المهتار^(٢) .
عمر الزعني^(٣) . طانيوس عبده . انيس روحانا . امين رزق الله . اميل
مبارك . اسعد السبعلي . ميشال طراد . ولعل الاخير اوفرهم حظاً
من التجديد . فهو في نظري ابو الشعر الرمزي في لبنان . ورمزية
طراد اصيلة اكثر منها اكتسابية . هاك مقطعا من نسجه على سبيل الشاهد .

سكّري الشباك لا تخلي حدا	يخدش غنانينا
ون نفختي النار دخلك ع هذا	هودي دوالينا

(١) هو في رأي اول من نظم الشعر الرفيع بلغة الحياة اليومية . (٢) لشعره
طابع توجيبي قومي . (٣) يمتاز شعره بالطابع الانتقادي الاصلاحى .

الجو عميد سلج ثلج والعاصفي
وسراجنا مبحوح روح منتفي
والسطح عميد لف ومن زهم البرد
مرمغي وجي ع صدرك ع الورد
هدت قراني الكوخ
وشعثات عمتبوخ
عمتوجف الطاقا
عَ عطر شي باقا

على انني لا اكون مخطئاً اذا قلت إن شعراء المهجر باستثناء الريحاني ونعيمه وجبران لم يكونوا على حظ كبير من العلم والثقافة . فإن الياس فرحات وهو اقلهم نصيباً من العلم ليتمتع ببر كز ادبي رفيع . كذلك فان علوم الشاعر ابي ماضي لا تتعدى حدود المستوى الثانوي في الاكثر بيد انه من الجهل المطبق عدم اعترافنا بفضل العلم . وعليه فليس باستطاعتنا ان ننكر على الثقافة العالية اثرها في توجيه الاديب او الشاعر توجيهاً صحيحاً . ولهذا يلاحظ ان للشعر المهجري هذا الطابع الثقافي الشامل الذي يجعل منه ادبا عميقاً لا يقوى على سبر غوره الا من اوتي حظاً من المعرفة والادراك . مثال ذلك هذه القطعة التالية من نظم الشاعر شفيق المعلوف في موضوع « : زهرة في قلب صخرة » وهي في نظري من اعمق الشعر وامتنعه :

حلمت بزهرتها القديمة صخرة
فتفتقت آملها عن وردة
ينشق عنها الصخر وهي كأنها
سماثلتها فاستجمعت اطيابها
أنا لست الا ومضة الذكري على
قبح يخالطه وميض خلاصة
حننت الى عهد التراب الفات
بيضاء لم تك غير حلم نابت
حلم تامل في ذراعي مائت
ومضت تقول بهمسهن الخافت
تقطيبة الصخر الكئيب الصامت
احلى لعينك من جمال باهت

إن في البيت الاول شيئاً من الروح العلمية والتفكير العلمي هذا بالاضافة الى الخيال المجنح . وهو اثر من آثار الثقافة الواسعة . وليس من الضروري ان تأتي هذه الثقافة عن طريق الجامعات بل هي اولى ان

تكون وليدة المطالعات والمجتمعات الراقية كالمجتمعات الأمريكية والاوربية. وقدما قيل الغربية مدرسة. اما ان يكون لجمال البلاد الطبيعي اثر في تصفية نفس الشاعر وارهاف حسه فذلك امر لا يقوى على دفعه احد من الناس. ومن اجدر من شعراء لبنان باستيحاء هذا الجمال الفاتن. ولكم كان شوقي وامثاله من شعراء العرب يهبطون هذا البلد الجميل طلبا للوحي والالهام. فقصيدة شوقي في زحلة وفي واديا هي من عيون الشعر. وإذا فليس غريباً ان ترى الشعر اللبناني والشعر الاندلسي يختلفان في قليل او كثير عن شعر الصحاري الجافة. وليس بدعا ان يأتي هذا الشعر موشحاً بظلال الغابات ملونا بذوب شعاع الاصيل وعليه نثار من رشاش الندى وغبار قوس السحاب.

الواقع ان الاديب المهجري الذي اقدمه للقاريء الكريم هو اديب موهوب في الدرجة الاولى. ولعل موهبته مستمدة من جمال لبنان وروعة سوريا في سهولها وجبالها. وهو الى ذلك رجل ثقيف يعرف اكثر من لغة ويعيش في بلاد غنية بالجمال والجلال. فيها الروضة والشلال. وفيها الغانيات الثقيفات من ربّات الدلال. ولقد كانت المرأة وما برحت الموحى الاول والاخير لكل شاعر وفنان. لا سيما إذا افترن جمالها بالذكاء والمعرفة. فجاءت انوثتها ندية مشرقة. ان الشعر الذي يستوحيه الشاعر من حسناء عالية الاخلاق هو غير ما يستوحى من حسان الجواري. ولذا جاء الغزل في العصر العباسي رخيصاً مبتذلاً. هذا ولما كانت التشابيه والاستعارات والكنائيات لا تؤخذ الا من قلب الحياة التي يعيشها المرء. كان لا بد من وجود الاختلاف بين التعبيرات الادبية بالنسبة الى اختلاف المكان والزمان. وقد لاحظ النقاد من قبل ان اللغة نفسها تتغير بتغير البيئة. وهكذا نشأت الاصطلاحات في اللغة. وعرفت كل امة باصطلاحاتها. فبينما يقول العربي

لصاحبه داعياً : « اثلج الله صدرك وافر عينيك » . يقول الانكليزي
 لصاحبه دفئاً الله قلبك (May god warm your heart) وما ذلك الا لأن
 العربي يعيش في بلاد حارة والآخر يعيش في بلاد باردة . واذاً فهؤلاء
 الذين يتطلبون من الشاعر المهجري او الاندلسي ان يلزم الاصطلاحات
 الصحراوية في انشائه ، لا يأخذون عوامل البيئة بعين الاعتبار . ولا
 يؤمنون بسنة التطور التي هي رمز الحياة . كذلك ، لا بد من وجود
 معان معنوية وحسية جديدة ، مردها الثقافة الفنية والتخصص المهني .
 فان جبران ، الذي درس فن الرسم على اكبر فناني فرنسا ، من
 امثال « رودان » والذي استوحى ادب وليم بلايك الشاعر الانكليزي
 الرسام ، لا يسعه الا ان ينزع في استخدام صور البيان ، نزعة جديدة ،
 توحىها الخطوط والالوان في تجاوب لطيف مستعذب . فما ميزة الفنان
 على سواه من البشر ، الا بتلك الحاسة الاضافية التي يتمتع بها والتي
 يشير اليها جبران في قوله :

« واما الشاعر فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة
 ما لا تراه العيون ، واذن باطنية تسمع من همس الايام والليالي ما لا
 تعيه الآذان »

وهكذا فانك واجد في التشابيه الجبرانية بصورة خاصة ، والمهجرية
 بصورة عامة طرافة وابداعاً .

ولقد جاء الادب الجبراني غنياً بالمعاني الجديدة ، بحيث اوجد لنفسه
 مدرسة تعرف باسمه . ولعله اكثر ادباء المهجر حظاً من هذا الجديد .
 وجديده هذا ، هو نتاج الشاعرية والتصوير معاً . وهكذا تتلاقى الفنون
 الجميلة : الشعر والموسيقى والتصوير على صعيد التجاوب ^(١) (harmony)

(١) لعلها افضل ترجمة لهذه الكلمة الانكليزية

لقد كان جبران شاعراً ورساماً وعازفاً ، فجاءت معانيه تلبس غلالة
من الظلال الملونة الهامسة كما في قوله :

- (١) لقد كنت في الامس مثل مائدة شهية .
- (٢) وابتدأت الحقول والبساتين تتشع بنقاب السكينة والراحة .
- (٣) فنظر اليه الامير نظرة النسر الجائع الى عصفور مكسور الجناحين
- (٤) وانا واقف هناك وقوف المرأة امام الاشباح السائرة .
- (٥) واصبح ذلك المنزل كقيثارة مقطوعة الاوتار .
- (٦) وكانت العروس تتكلم وفي صوتها نعمة اعذب من همس الحياة
وامر من عريل الموت .
- (٧) وبعد احيان خرساء هائلة شبيهة بالاجيال المظلمة .
- (٨) وتناولت اشباح الصخور وخيالات الاشجار .
- (٩) ووقفت ناظرة بعيون مغلقة بالدموع .
- (١٠) والنهر يتراكم كاحلام المجرمين .

وهي تشابهه وكنائيات ، تجمع بين ظلال المادة ، ومجاز المعنويات
الذهنية . وما احسب ان الادب العباسي بصورة خاصة ، خلا من هذه
المعاني ، ولكنها جاءت في قصد واعتدال . ولعل امتع ما جاء منها ،
تلك التي وردت في بعض شعر ابي نواس من نحو قوله :

- (١) فارسلت من فم الابريق صافية كأنما اخذها بالعين اغفاء
 - (٢) فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم
 - (٣) جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر اخلصه السبك
 - (٤) وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبه الشك
- والشاهد في البيت الاخير . بيد ان هذه المعاني تكثر في الادب
المهجري الى حد يسترعي الانتباه ، بحيث تخلع عليه طابعا قشيبا .

ومن هذه المعاني الطريفة قول نعيمه:

هلي هلي يا رياح وانسجي حول نومي وشاح
من خير الغدير واهتزاز الاثير
واختلاج العبير في دموع الصباح
ولشكر الله الجر .

والنهر كالديباجة الخضراء جعدها النسيم
ينساب مثل اللوعة الخرساء في صدر الكريم

وقال فرحات :

اهرع نحو الديريوم العيد مغتبطا بالطالع السعيد
فانظر الغادة بين الغيد باسمه عن لؤلؤ منضود
لامعة كالامل البعيد

وقال فوزي المعالوف :

طوقني الاشباح ها هي حامت ثم اهوت ترف بين يديا
هي كالوهم البسته خيوط الفكر ثوبا من الخيال جلياً
وقال ابو ماضي :

وتزحم الحسناء بمكورة خلافة كالروضة الحالية
دميمة تشبه في قبورها مدينة مهجورة عافية

وقال الشيخ سعيد اليازجي :

رأيت الغدير على مهله يسير ويخطر في مشيته
شبهه الفضيلة في صمته ومثل التحنن في رفته

وقال عقل الجر :

فقامت تسر الى امها الجواب بذاك الحديث الرطين

فكان كطيب نفا عرفه ودل عليه بريق العيون

وهكذا ينفرد الادب المهجري، عن اي ادب عربي سابق، بوفرة ما فيه من الصور البيانية الجديدة ، وجديتها هي في انها تنعكس عن حالات الموجودات انعكاسا شعوريا، يلامس وضعها من بعيد او قريب .



في اللفظ

لقد ذكرت^(١)، في فصل سابق ، أن اللفظ يشتمل ايضاً على القالب ، وعليه فقد يكون من الخير ، ان نلّم بالأوزان المهجريّة المأمـاـ يسيراً . والواقع ان الشاعر المهجري لم يضيف الى فن التوشيح ما يصح ان يعتبر شيئاً جديداً . على ان الجديد هو في ما جاءوا به من شعر منشور ، وما تعمّدوا ، من الجمع بين مصراعي البيت الواحد ، بحيث لم يعد هناك من ضرورة الى التفريق بين صدر البيت وعجزه .

هذا وليست الموشحات المهجريّة مقصورة على ما جاده الغيث فقط او على الطبيعة وهي في ابهى حلل الربيع ولكنه الشعر الذي تمر الطبيعة على مرآته في جميع ادوارها وفصولها . ومن هنا جاء هذا الادب يختلف عن الادب الاندلسي ، ليس في قالبه فحسب بل في شمول تصويره بحيث لم تأت الموشحة المهجريّة تقليداً لسابقة لها . ولقد لاحظ المستشرق الفرنسي (Henri Pérès) عند مراح^(١) يتحدث في موضوع الادب الاندلسي « ان ذلك الادب لم يحفل بغير الربيع من فصول السنة . فلم يجد الصيف بكل ما فيه من اضواء مشرقة ، مكاناً من نتاجهم الادبي »

«L'été avec ses lumières vives n'a pas trouvé place dans leurs œuvres»

ونحن من منا، لا يذكر موشحة نعيمه في اوراق الحريف ولا يشاركه في بهجة ما يشاهد .

تناثري	تناثري
يا ارغن الليل ويا	يا بهجة النظر
يا مهبط الشمس ويا	قيشارة السحر
يا رمز فكر حائر	ارجوحة القمر
	ورسم روح تأثر

(١) من كتاب الشعر العربي الاندلسي في القرن الحادي عشر

يا ذكر مجد غابر قد عافك الشجر

تناثري تناثري

فهل رأيت اواحيست كيف يحلو لك الهمس في هذا البوح الشعري اللطيف ، مفرغاً في هذا القالب الجميل ؟ قال الكاتب المصري الكبير ابراهيم المازني : « فهذه روح مستقلة لا تريد^(١) ان تقلد العربي القديم ولا الغربي الجديد . ولا عجب بعد ذلك ان يرى المرء مظاهر هذه النزعة في اسلوب الكتابة وفي الاوزان المختارة لصب المعاني الشعرية فيها . ثم يستشهد بقصيدة نسيب عريضه في موضوع « النهاية » التي منها : كفنوه وادفنوه واسكنوه هوة اللحد العميق » ثم يضيف قائلاً : « وهو وزن مقبول يسيغه الذوق السليم » . ومن هذا القبيل اعتبار بعض المهجريين البيت بمصراعيه كلا غير مقسوم . كقول نعيمه من قصيدته ، النهر المتجمد :

قد كان لي يا نهر قلب ضاحك مثل المروج
حرّاً كقلبك فيه اميال وآمال تموج
قد كان يضحى غير ما يمسي ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه امواج الامل
فتساوت الايام فيه صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها

فالبيت هنا بمصراعيه وحدة موسيقية تامة . والقصيدة باوزانها المختلفة وروبيها المختلف ، تؤلف نغماً شاملاً تاماً . وهي بالتالي لوحة فنية تضع خطوطها الكبرى في تضاعيف الوانها وانسجام ظلالها .

إنّ من يتدبر شعر نعيمه يجده زاخراً بالنغم الموسيقي ، المنساب في مجراه ، انسياباً لا يعرف معه التوقف في سبيل التمييز بين صدر وعجز .

فهو تيار من الالحان يجري في سبيله الى قلب البحار الشاسعة . والشعر المهبجي عموماً ، غني بالوانه الموسيقية التي هي منه كالآوتار من العود والكمان . لكل وتر منها ، نغمة الخاص الموحى ، ورنته الخاصة المثيرة ، ولكنه لا ينقص عن النغم الشامل الذي هو سيمفونية تامة مستكملة الاسباب والרגاب .

فما المعلقات الجاهلية في نظري ، سوى ربابة ذات وتر واحد في « اسلاك » عديدة ، وما نغمها سوى موسيقى رتبية تجري على وتيرة واحدة معبّرة عن حياة رتبية واحدة ، مصبوغة بالضجر والملل . هي حياة الصحراء التي تحيي الخطوط فوقها ، فيما تنسجها رمالها بين يدي « جنوب وشمأل » . اقول هذا ، وانا على يقين من روعة الشعر الجاهلي في بعض مقاطعه ، التي خلت من طابع السرد التاريخي والفخر المصطنع . واحبها الى قلبي ، تلك التي رسمت مشاهد الحياة الصحراوية في شيء كثير من الابداع والاخلاص ، وكأنها صور متحركة تمر بك على شاشة من رمال البادية .

وما الموشحات الاندلسية المهبجية في رؤيها المتباين وانغامها الملونة سوى قيثارة تعددت اوتارها لتعدد اطوار العازف . وهي اذ ذاك اجدر بتمثيل رغبات الحياة في سطحياتها واعماقها . فما الحياة سوى اصباغ من الرغبات والرؤى .

فإنك وانت تقرأ قصيدة النهر المتجمد لخائيل نعيمة مثلاً ، تشعر في قرارة نفسك ، بأن هناك نهراً ينساب امام عينيك ، ثم لا تلبث ان تتمثله جامداً بما يهب عليه من زمهرير النفس العارية امام وجه الخريف . وهنا لا بد لك من اكبار الموسيقى الهامسة في اجراس الحروف ، على غير ما انصرف مصطنع لهذا الهمس . فالرمزية في الادب المهبجي ليست بما

عني به الادباء عناية خاصة . وما جاء منها ، فقد جاء بطريقة عفوية لا يصح اعتاده .

وقد لاحظت وانا ادرس الادب الجبراني في جملة ما ادرس من الادب المهجري ، بأن حظ الرمزية من هذا الادب قليل . فقلما يعثر المنقّب على رمزية من نوع رمزيات « رامبو » الغامضة ، بل تكاد لا ترى لامثالها أثراً . ذلك لان الوضوح والصفاء في البيان المهجري ملازمان له . فليس الشعر مجرد تنعيم وتهويم ، يدفع بك الى النوم اللذيذ ، بل هو حياة ويقظة متلازمان . وهكذا يكون الادب الانساني ذو الایحاء الخیر . هذا وإذا كان الرمزيون يشيرون احياناً الى فضل الموسيقى في خلق الایحاء والصور ، فالشعر المهجري غني بموسيقى الایحاء والابداع . وليس في وضوح صورته وجلاء همساته ، ما يدنيه من البيان المشاع المبتذل ، بل هو في المكان المرموق من السهل الممتنع ، الذي اشار اليه ابن المقفع وما اعذب ما تجدد في همساته من بوح ندي .

قال الدكتور مندور : وفي الحق إن شعراء المهجر قد جددوا^(١) موسيقى الشعر العربي تجديداً يستحق ان نطيل فيه النظر . ونحن الآن ازاء بحر تقليدي « مجزوء الكامل » ولكن انظر كيف استخدمه الشاعر عريضة في قوله :

قد نام ارباب الغرام وتدثروا لحف السلام
وابيت يا نفس المنام أفأنت وحدك تشعرين

ففي كل مقطوعة تجد اربعة اشطر ، الثلاثة الاول يقفّي بعضها البعض واما الشطر الرابع الذي نسميه القافلة فيقفّي القوافي الأخر . وعلى هذا النحو تطرد القصيدة . « وما جاء في تقرّظه شعر نعيمه قوله :

« او لا ترى كيف ان ضجيج الغربي باعماله ، قد زاد من حزننا مرارة ؟ واخيراً فيه الموسيقى . الشعر من الوافر ولكنه متصل باتصال الاحساس حتى لا اكاد ارى فيه ذلك الايقاع (rythme) الذي يفسر الكثير من موسيقى شعرنا عندما تستقل الابيات . موسيقاه بما يسميه الاوربيون ترنيا (melodie) وفي هذا ما يماشي الحزن المتصل والالم الحشوع :

أخي ان عاد بعد الحرب جندي لاوطانه
والقى جسمه المنهوك في احضان خلاّنه
فلا تطلب اذا ما عدت للاوطان خلاّنا
لان الجوع^(١) لم يترك لنا صحباً نناجيهم
سوى اشباح موتانا

ثم هو يضيف قائلاً : أبعد هذا تتخبط في معنى الادب ، فيذهب البعض الى انه الحث على مكارم الاخلاق والعدل الاجتماعي واصلاح النظم ، ويذهب اخرون الى انه الافكار العظيمة ، والتفكير الكبير والصنعة المدهشة والاسلوب الفني . «

أجل قد يكون الشعر بعض هذه الاشياء او كلها ، على ان الشعر في حقيقته ، ليس سوى تصوير وتعبير . اما التصوير ففي الوانه . واما التعبير ففي بيانه . واما الالوان فهي ما ينعكس في رغباتنا من خلال موشور الذات ، واما التعبير فهو ما ينعكس عن همساتنا من خلال جرس الحرف . واذن فالشعر هو هذا التفاعل بين الذات والحرف ، وبالتالي بين الذات والموضوع ، بحيث يحملك الشاعر على الاستمتاع بما يحس به في اعماق نفسه إن غبطة او المأ ، يجمع بينها الاشرار والنغم . وآية القول : ليس الشعر سوى تجاوب بين الخطوط والظلال من ناحية ، وبين الرغبات والهمسات من ثانية . وهذا هو التعبير الجمالي ، الذي يأخذ بلب الشاعر فيسكبه

(١) وهو يوافق قول شعراء لبنان في موضوع الجوع ، من امثال وديع عقل :
« وعز الرغبة وضقت سبيل الحياة على امة كاملة »

هذا، انغماساً واحلاماً تأخذ بلب سواه . فالشعر لا يكون شعراً الا اذا
 احدث في اعماق الروح هزة منعشة، تفتتح لها الروح على دنيا من رؤى
 الحير والجمال . وفي هذه المناسبة اذكر ما قاله شاعران في حدود الشعر .
 اولهما جاء في تعريفه اقرب الى الحقيقة من الثاني في حين ان الثاني كان
 في فنه اقرب الى الشعر منه في تحديده . فيقول الزهاوي .

اذا الشعر لم يهزرك عند سماعه فليس جديراً ان يقال له شعر
 ويقول شوقي .

والشعر ان لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع واوزان
 دع الآن ما قيل في حدود الشعر، واقرأ معي هذا المقطع التالي لعلك
 مدرك ما اعني :

يا ليل خذي بيد العزوبة واهديا خير السبيل
 لم يبق لي فيها وفيك من الرجاء سوى القليل
 ألا تجد نفسك الآن، محمولاً مع فرحات في تيار هذا النغم الرقيق ،
 الذي يستهويك بكل ما في حروفه من همس ناعم ! واذا ، فلا بد لك
 من الجري معه حتى النهاية . وهكذا تجد نفسك محمولاً في هذا الزورق
 الخيالي من حيث لا تقصد .

فلكم سهرت وانت تغري ناظري على السهر
 ونجومك الصفراء ساهرة تسارقني النظر
 لا تعترض ان لم يكن لك في معاندي يد
 ان لم تكن انت المسيء فذاك مثلك اسود
 ان الليالي السالفات وانت شيء واحد
 ولدنكم الغير العصية والقضاء الجاحد
 طلتم عليّ وطالما طالت بطولكم المحن
 واسود حظي باسودادكم فتقت الى الكفن

ان القاريء ليدكر ان من عيوب الفصاحة في شرع نقاد العرب قديما،
تكرار الحرف او اللفظة في البيت الواحد وربما في الصفحة الواحدة .
بيد اني ارى في تكرار « الطاء » هنا بلاغة فائقة . بل ربما كان هذا
الشرط المزدوج ، بيت القصيد ، بالنسبة الى ما يوحيه التكرار هنا ،
من الضجر الذي يعانیه الشاعر في ليليه الفارغة الموحشة .

وهذا ما اعنيه بالموسيقى الموحية . فكثيراً ما تعكس لك الهمسات
المتتابعة في تكرار الجرس ، مالا تعكسه المعاني ذاتها . اما توسع المهجريين
في الموشحات ، في الزيادة من اغصانها والتنقيص منها ، فذلك شيء ظاهر .
وعندي ان صنعة التوشيح هذه التي يشير اليها ابن خلدون في مقدمته لا
تخلو من تكلف واجهاد كما في قول نعمه الحاج :

في ظلام الليل والناس نيام	أرقت عيني فما ذقت الكرى
ليلة أحبيتها منذ المسا	للصباح
في فنون وشجون واسى	والتياح
نزل الهم بقلبي ورسا	واستراح
واذا الهم على القلب اقام	راح عنه الدمع يروي خبرا
ومن ذلك قول فوزي المعلوف :	

ثم الوى يتلو على حواء	بابتسام
كفكفي الدمع ابشري بالصفاء	والسلام
لم يعد موجب لماضي البكاء	والمام
استعدنا الفردوس بالابناء	بالغرام

ومن ذلك قول جبران وهو في شعره المنشور ، اشعر منه في المنظوم
بحيث تجري صنعة الفنية في منشوره ، على غير ما تصنع وتكلف .

بالله يا قلبي	اكنتم هواك
واخف الذي تشك	وه عن يراك - تغم

بالله يا قلبي اذا اتاك

مستعلم يسأل عما دهاك - فاكتم

هذا وربما اختلف « صنعة » اليوم قليلا عنها في الامس البعيد . وهو ما يجب ان يكون ، بالنسبة لاختلاف الزمان والمكان . فقد انصرف القدماء في صنعتهم الى اظهار براعتهم في معرفة انواع زخارف البيان بحيث اصبح الانشاء ضرباً من الفسيفساء . فهم ينظمون احياناً من اجل الطباق ومراعاة النظير ، وحياناً من اجل الجناس ، وحياناً من اجل الطبي والنشر ، كما في مقطوعة عبادة القزاز الواردة في مقدمة ابن خلدون حيث يقول :

بدر تم شمس ضحا

ما اتم ما اوضحا

الى اخر ما هنالك من هذه الزخارف التي تطوى وتنشر ، وكأنها بضائع جاهزة للتصريف . بما لا شك فيه ان شعراء المهجر حاولوا تقليد شعراء العصر العباسي المتأخر في زخرف الحرف واختيار الالفاظ المجانسة وكأني بهم مأخوذون ببلاغة المقامات . وكأني بهم يطمعون جميعاً في استيعاب مجمع البحرين ، ليكونوا في دورهم بحاراً شاسعة الاطراف بعيدة الشواطئ . فيقول فوزي المعلوف في اول عهده :

فيا امانى عودي - وعودي ذا علة عاش بالوعود

ان الوعود حلم الم

ولن يعود الا الالم

ايه يا خير خال - خال قلبي اليوم - خال

فالشطر الاول شبيه بالعتابا والاشطر الثانية شبيهة بالاحاجي . ولقد ذكرتني لفظة « خال » في البيت الاخير « بخالية » بطرس كرامه ولا اقول لامية بطرس كرامه ، لعلبة لفظة الخال على قوافيها . فهي اكثر

من لزوم ما لا يلزم . وهي التي مطلعها
امن خدها الوردي افتنك الحال فسح من الاجفان مدمعك الحال
وبطرس كرامه هذا ، هو شاعر الامير بشير الشهابي كما تعلم ،
وهو يمثل الشعر في القرن التاسع عشر . أعني نهاية عصر انحطاط الشعر
الذي سبقته عصور تعرف كلها بالعهد التركي .

وبالطبع فان الحكم على ان في صنعة التوشيح المهجري شيئاً من
التكلف ليس حكماً عاماً . ففي الموشحات المجرية طرافة وعذوبة ،
وفيها همس ناعم وحنان عارم . من ذلك قول فرحات في حمامة ناعمة
الريش ولعلها من الحمام الزاجل الذي يوكل اليه بنقل الرسائل :

يا عروس الروض يا ذات الجناح	يا حمامه
سافري مصحوبة عند الصباح	بالسلامه
واحملي شوق فؤاد ذي جراح	وهيامه
اسرعي من قبل يشتد الهجير	بالنزوح
واسجي ما بين امواج الاثير	مثل روعي
وإذا لاح لك الروض النضير	فاستريحي

إن الشاعر هنا ليشفق على الحمامة ، فيطلب اليها ان تستريح لأن حملها
ثقيل بالنسبة لجناحيها الرقيقتين ، ولأن جواء الهواء محمومة او على وشك
ان يسكب فيها الهجير شيئاً من زفراته . فكأن روح الشاعر قد اندمجت
في ذلك الطائر اندماجاً واقعياً ، كما يشير الى ذلك علماء النفس ، في
كيفية اندماج الذات بالموضوع . ومهما يكن من امر ، فانك تحس ان في
هذه الابيات شيئاً من ملامح الجمال . وان كانت ساذجة العاطفة ساذجة
التعبير . ولعل هذا الجمال ناجم عن هذه المقاطع الرشيقه الايقاع الوافرة
الايحاء . ففي لفظة « لاح » من صور الشوق ما لا تراه في اية لفظة ثانية .
اليس حرف الحاء (ح) هنا الذي يكثر ترداده ، بما تتداعي له ، وتشترك

فيه رؤى الخلاوة والحب والحنين . وهكذا تكون العاطفة ذات دفء يبعث في جوانحك الاطمئنان ، مهما قست عصفات الزمهرير واشتدت وطأة العاصفة . ومهما يكن من شيء ، فإنك واجد في هذا الشعر المهجري طرافة ممتعة ، تتجلى لك حيناً في القالب ، وحيناً في المعنى وحيناً آخر في الغرض . ولعلك تذكر تعريف القدامى للشعر ، كيف انه لا يخرج في نظرهم عن حدود الكلام الموزون المقفى . اليك ما يقوله الريحاني في هذا الخصوص .

« انني لا ازال اعجب من بعض شعرائنا يتعاملون المعاني تعاملًا . إن القافية والوزن اللذين يعبدهما العرب عبادتهم المشهورة ، قيد ثقيل على الشعر ، إنها منافية لروحه . سر الشعر ان يكون طبيعياً متدفقاً من النفس . والوزن يقول له لا تستطيع ان تخرج الا بهذا الطريق كما يقول الانبوب للماء . زد على هذا كله ان اكثر قصائد الشعر العربي عديمة الوحدة . ثم يشير الى ان التجديد^(١) بدأ في الريحانيات والجبرانيات اولاً ، وتعداها الى سواها من كتب الادب . وبالطبع فهو يشير الى الشعر المنشور . والواقع ان جبران - في شعره المنشور - اشعر منه في المنظوم . وهذه الحقيقة تنطبق على الريحاني^(٢) ايضاً . مع العلم ان الاول اشعر من الثاني لانصراف الاخير شطر التفكير المنظم ، في الكثير من كتاباته وإلى الاسلوب المنهجي . فلقد كان جبران منصرفاً الى الفن بكل قواه من شعر الى تصوير الى موسيقى . وهو الى ذلك بعيد مرمى الخيال . هذا وشعره لا يخلو من مسحة رمزية على اختلاف انواعها من صورية الى موسيقية الى غيرها . ولكنه لم يكن قط من المسرفين او من الذين دعوا اليها وبشروا بها ، كما فعل بعض ادباء لبنان في السنوات الاخيرة بحيث اغرق البعض منهم في استخدام الالفاظ الزاهية والتعابير

(١) هكذا جاء فحوى مقاله . (٢) لقد استطاع الريحاني ان ينظم الشعر بلغة

شكسبير ، الا انه ما عرف كشاعر موفق في الاوساط الانكليزية

« المبرقة » . ما حملهم على الاسراف في استخدام بعض الكلمات الجذابة ، امثال الدفء والدفقة والمخضوضر ، والزغب ، والانفلات والمساح والمثاف والدغدغة . الى ما هنالك من الفاظ تتكرر في مناسبة وفي غير مناسبة ، خصوصاً عند صغار الشعراء من المقلدين . إن هذه الالفاظ على زعمهم يتكون منها في حالة نظمها نغم خاص موحٍ بحيث يخلق - « الاجواء » الشعرية التي يريد بها الشاعر . وما على القاريء ، لكي يتفهم تلك الموسيقى ، الا ان يتغلغل الى أجوائها وما خلقت من عالم مخضوضر دافق ، مدغدع ، مسباح ، مرجحن ! فالشعر في نظر هؤلاء فن قبل كل شيء وموسيقى قبل اي عنصر آخر . اقول ان هذه المدرسة لم يعرفها المهجريون فبقيت الالفاظ عندهم شيئاً ثانوياً ، بالنسبة الى المعاني التي هي منها كالجوهر من العرض ، وكالوعاء من الصهباء .

اجل إن الشعر المنشور عندهم وان خلا من الوزن والقافية ، فإنه لا يخلو من التوازن والايقاع المكتسب من الفاظ مسجعة ، على غير مذهب وراء السجع ، كما فعل اصحاب المقامات وسواهم . ولعل الريحاني كان اول من كتب في هذا الاسلوب الجديد . مع العلم ان الادب العربي لم يخل من التوازن المستملح والايقاع المستحب في بعض الاساليب النثرية ، من اساليب التوسل . قال المستشرق الروسي كراتشفسكي :

« اما في الشعر المنشور فقد اوجد الريحاني مورداً جديداً للادب العربي لم يكن معروفاً من قبل ، وقد اخبذه عن الشاعر الاميركي « وتمن » الذي يصفه باستاذ هذه الطريقة وامامها . اننا اذا امعنا النظر في الاداب العربية القديمة نرى انها لم تكن تخلو من هذا الشكل الشعري كما يتضح من مراجعة ^(١) بعض السور القرآنية وان يكن شكلها ، غير هذا الشكل الشعري الذي هو الآن موضوع بحثنا . »

وقال المستشرق الانكليزي جب :

« لقد انصرف ^(١) بعض ادباء سوريا اللامعين ، الى خلق نوع جديد من الادب الفتي - الا وهو الشعر المنشور - الذي اخذوه عن الشاعر الاميركي ولت وتمان » على ان المستشرق كمفيو ^(٢) لا يشير الى التجديد صراحة ، وانما يذكر ان جبران خليل جبران هو القائد الاول للمدرسة الادبية في المهجر وانه متأثر بأسلوب التوراة كسفر اشعيا وارميا مثلاً الى حد بعيد . وانما يختلف انشاؤه عما في التوراة من انشاء ، في كثرة ما فيه من خصب في الرموز (Symbole) والاستعارات (Metaphors) والاشارات (Allegories) وهو رأي وجيه . بيد انني لاحظت ان المستشرقين يعتمدون في احكامهم غالباً على ما قرؤوا من تقاريط ، في مجلتي المقتطف والهلل وامثالهما من مجلاتنا الراقية . الواقع ان الشعر المنشور لا يختلف عن النثر العادي الا بما فيه من ايقاع موسيقي تشير اليه الفواصل وبما فيه من خيال وعاطفة . فهو ضرب من التوسل الطليق والنغم الحر ، وانه يختلف عن غيره بما فيه من ظلال . من ذلك قول جبران :

« يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين .

يا ليل الاشباح والارواح والاخيلة -

يا ليل الشوق والصبابة والتذكر .

ايها الجبار الواقف بين اقزام غيوم المغرب وعرائس الفجر .

المتقلد سيف الرهبة المتوج بالقمر ، المنشع بثوب السكون ،

الناظر بالف عين الى اعماق الحياة .

المصغي بالف اذن الى أنة الموت والعدم . » -

(1) Arabic Literature by Gibb

(2) Leaders in Contemporary Arabic Literature by Kampffmeyer

اغنية المطر

« انا خيوط فضية تطرحني الالهة من الاعالي فتأخذني الطبيعة وتنمق
بي الاودية .

انا لآلي جميلة نثرت من تاج عشروت ، فسرقتني ابنة الصباح
ورصعت بي الحقل .

انا ابكي فتبتسم الطلول . واتضع فترتفع الازهار .
الغيمة والحقل عاشقان وانا بينهما رسول مسعف . انهمل فابرد غليل
هذا واشفي علة تلك .

صوت الرعد واسياف البرق تبشر بقدومي وقوس السحاب يعلن
نهاية سفرتي .

كذا الحياة الدنيا تبتدي . بين اقدام المادة الغضبي وتنتهي على اكف
الموت الهادي .

اصعد من قلب البحيرة واسير على اجنحة الاثير .
حتى اذا ما رأيت روضة جميلة سقطت وقبلت ثغور ازهارها
وعانقت اغصانها .

حرارة الهواء تولدني وانا اقتل حرارة الهواء . كذا المرأة التي
تغلب على الرجل بقوة استمدتها من الرجل .

انه لنسج شعري رفيع الاسلوب وقيق الهمس ندي طلي .
ولامين الريحاني قطع من الشعر المنثور رائعة الصور رائعة البيان .
واحببها الى نفسي تلك التي نظمها او نثرها في جو من العاطفه المشبوبة
والالم المعطي . ساعة راح يرثي ابن شقيقته الصغير فؤاد :

عند^(١) مهد الربيع

« عرفتك قبل ان اخضرت من نسمتك الاولى صدور الحقول
وجوانب الربى
— وقبل ان نور المهد من حر شفقتك ، وقبل ان يمد نور عينيك
غيوم الشتاء

فهدأ البحر وانجلت السماء
عرفتك قبل ان حاكتم قصورك الجبال ، طنافس من العصفور والاقحوان .
وقبل ان اعدت لسريرك النارق من الرياحين وريش الصنوبر
وشقائق النعمان .

وقبل ان ملأوا كأسك من دهن اللوز وماء الورد وعصير الرمان .
عرفتك قبل ان نصبت لك العاصفة الاخيرة قوس نصر من دمها
ودمعها وزفيرها

— وقبل ان ولت الغيوم الباكيات واقبلت الضاحكات تجر ذيولها
فوق صنين

وقبل ان لحفتك شمس الضحى باشعة الحب والحنان
وقبل ان رفعت فوق سريرك عند الغروب قبة من نورها الولهان .
عرفتك قبل ان نور في خديك الورد ، وتلألأت على شفقتك الابتسامة .
وهي تجري في مثل هذا السميت الحبيب المستعذب . شأن معظم
الشعر المنشور الذي يطالعك به الأديب^(١) المغترب .

(١) للمؤلف رسالة ثابئة لم تطبع بعنوان : « ادباء مغتربون » وفيها يتحدث عن
كل اديب لبناني قدر له ان يعيش خارج وطنه في اميركا وغيرها .

في الغرض

قد يكون من مظاهر التجديد في الادب المهجري انصراف الشعراء الى الموضوعات الجديدة كالرحلات الخيالية وما اليها . وربما كانت من مظاهره ذلك الميل او الاتجاه الى تصوير الرغبات الروحية . واكثر ما يتجلى ذلك في شعر التاملات . وسيرد هذا او شيء منه في الفصل القادم . وتصوير الرغبات يظهر كما يذكر ^(١) ابو ماضي في الشعر الغزل ايضاً . حيث الشاعر لا يصور حبيبته فحسب بل ما يجول في خاطرها من ميول ونزعات واشواق ومخاوف . وللشاعر ابي ماضي الذي ينبئنا الى هذه الظاهرة شعر من اروع ما يقرأه المرء في باب الغزل . فيقول من قصيدة موضوعها المساء :

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصية الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
لكننا عينك باهتتان في الافق البعيد

سلمى بماذا تفكرين ؟

سلمى بماذا تحلمين ؟

هذي الهواجس لم تكن مرسومة في مقلتيك
فلقد رأيتك في الضحى ورأيتك في وجنتيك
لكن وجدتك في المساء وضعت رأسك في يديك
وجلست في عينيك الغاز وفي النفس اكتئاب

مثل اكتباب العاشقين

سلمى بماذا تفكرين؟

وهي عندي في طليعة قصائد ابي ماضي روعة وجمالا .

إنَّها تنساب في ايقاعها انسياب حنين القصب في الليالي القمراء .
وانه لمن مجرد الاطلاع عليها وعلى رفيفات لها مبهجية تشعر بان هذا النهج
من الغزل جاء عفأ بريثاً . يعيد الى الازهان ذكرى العشاق العذرين وهم
يتنقلون من واحة الى واحة ومن طلل الى آخر . تقرأ هذا الشعر الغزل
فتجده عف الالفاظ عف الهوى . لا يرى صاحبه في جسد المرأة وليمة
للشهوات حيث التفاح والرمان والعنب والدنان . ولا يرى في ثدييها
موجتين يفرق بينهما غرق الاخطل الصغير وسواه من شعراء الغزل المادي .
وللشاعر فرحات قصيدة غزلة مادية على غير ما إسراف . رقيقة الا
انها باكية .

احببتي شد الغرام على	فلمي بمازمة من الجزع
فاذا نحبي في الفضاء علا	فلتسمعي وتخففي وجعي
ثدياك وادهشي وقد ظهرا	في الحلم لي «فرخان في عش»
خلف الحرير اللين استترا	لاخلف قاسي الطين والقش
يتشاطران الخوف والقلقا	يتشاركان بحمل همهما
يتطلعان الى الفضاء فرقا	متوقبين بحبي امهما

وهي على ما اظن التي اوحت لأبي ريشه قوله :

فاسدلي الستر دون نهدين ضجاً واشراًبا كجناحي ورقاء
وللتروني مقطوعة من الغزل الرفيع قل نظيرها . تطل منها حواء
لا حورية في جنة بل جنة تتمثل في حورية !

تطلع الشمس يستبينني هواها	وتلوح النجوم ارعى سناها
اي واد ولم اسامر حصاه	وهضاب ولم اباكر ذراها

وغصون ولم اغرد عليها وورود ولم امص جناها
غير اني عمري قصير وفي الكون فنون من كل حسن جديد
مثلوا لي هذا الوجود بشيء انني اشتهي عناق الوجود
يا سليمان جمعت حسن النهار والدجى والسماء والاقمار
والربى والوهاد والغصن والزهر وقطر الندى وشدو الكنار
فيك معنى من كل ما ابداع البا ري تعالى بل فيك معنى الباري
لوحة المرصد التي يظفر الراصد فيها بكل نجم بعيد
بذراعيك طويقيني اطوق بذراعي كل هذا الوجود
وقال شفيق المعلوف وما امتع ما يقول :

ازاهر الضفة اترابها حسناء كالزنبق في طهرها
قد مهدت متكئاً لينا من عشب الحقل ومن شعرها
لو الندى رش ازاهيره ما ميز البرعم من ثغرها
نامت وقد حامت عليها المنى واستسلمت هائثة للروى
وانطبقت شباك اهدابها تحرس في اجفانها اللؤلؤا

• • •

ارى على ثغرك انشودة راقصة فما الذي تنشدن .
وفي ذراعيك عناق بدت بادرة منه - فمن تحضنين ؟
وجهك في عيد فمن مخبري يا طفلة الحقل بما تحلمين
لي امل عندك هل اجتليه مضطرم الجذوة او مطفأ
كتاب عينيك افتحيه افتحي فاني اود ان اقرأ

وقال مخايل نعيمه من قطعة يرفعها الى M.B.D.

انا السر الذي استترا بروحك منذ ما خطرا
ببال الكائن الاعلى خيال العالم الادنى
فصور من ترى بشرا

انا الصبح الذي ائتلقا بقلبك قبل ان خفقا
وقبل ان التظت شمس وشعشع في السما بدر
وبرق في الدجى برقاً

انا في قلبك القبس وفي اجفانك النعس
انا في فكرك العجب وفي احلامك الرؤيا
وفي اصباحك الغلس

الى قوله - فهاتي يدا وهاك يدي على رغد على نكد
وقولي للالى جهلوا معا كنا من الازل
معا نبقي الى الابد

هذا ويجد القاريء مقابل هذه القصيدة من الديوان نفسه اي على
الصفحة المحاذية لها، صورة من تصوير نعيمه ترمز الى ظلال ما يرسمه بالالفاظ.
وهنا يصح القول بان الصور الرمزية في الادب الحديث ولا سيما في
الادب المهجري مظهر جديد يجد ذاته . فكأنني بالشاعر لا يعمد الى
الصور الا في حالة عجزه عن تصوير ما يختلج في نفسه . وذلك لزيادة الافصاح .
او ربما هدف من وراء ذلك الى مساعدة القاريء على تفهم ما يرمي اليه
في صورته الرمزية . وهذه الرسوم تكثر في بعض الكتب الجبرانية ،
وهي من تصوير الشاعر نفسه . وتري ايضا في « همس الجفون » لخائيل نعيمه
وبين تلك الصور صورة فنية من رسم جبران . كذلك ترى في « الاحلام »
لشفيق المعلوف . على ان جبران يبقى استاذ هذه المدرسة الادبية الاوحد .
انا لا ازعم ان الشعر الغزل لا يكون راقياً الا اذا كان روحياً
او فلسفياً او خلقياً وانما اريد ان اقول ان المرأة ليست جسداً فقط
وانما هي روح وعقل .

نعم ان الشعر الغزل هو من عمل القلب في الدرجة الاولى . ولكن
ذلك لا يمنع ان يكون الشاعر في احساسه دقيقاً بحيث لا يكتفي

بظواهر الاشياء . بحيث يتغلغل في حسه الى مطاوي النفس البعيدة مع الاعتراف بان الشعر الذي يغلب عليه التفكير لا يكون من الشعور في شيء . بل هو شعر جاف ذهبت حرارة الفكر فيه بحرارة العاطفة . فتبخرت انداؤه وتقلصت ظلاله .

لقد اشرنا الى القصائد التصميمية من قبل والان يجدر بنا الالتفات الى القصص الشعري بصورة عامة . من القصص العادي الى الحوارية منه . الى الرحلات الخيالية . ولعل القصصي هو مما اخذه المهجريون عن اخوانهم من شعراء لبنان والاقطار العربية الثانية . كما يعترف بذلك البعض منهم . حيث ترى فريقاً ينسب الفضل في ذلك الى شاعر الارز شيلي ملاط . واخر يعود به الى خليل مطران . ومنهم من يراه غريباً . قال الاديب يوسف البعيني - « ولعل ^(١) هذه الثلثة المنفرجة في الادب العربي وهي خلوه من الشعر القصصي حفزت سادة البيان والقريض الى سدها . فنهد شوقي بك الى انشاء القصص المسرحية . غير ان صاحب الفضل الاول في تشييد بناء القصة الشعرية القصيرة في لغة قريش هو بلا منازع الشاعر اللبناني الكبير شيلي الملاط » .

ومهما يكن في قول البعيني من امر فان المهجريين لم يسبقوا اخوانهم في الوطن الى الشعر المسرحي البحت كما فعل شوقي . ولا الى القصصي العادي كما فعل مطران والرصافي وملاط وسواهم . على ان الباديء في الشعر المسرحي هو الشيخ خليل اليازجي المتوفى سنة ١٨٨٩ وهو ابن الشيخ ناصيف اليازجي وشقيق الشيخ ابراهيم وفيه يقول زيدات : « ويمتاز الشيخ ^(٢) خليل عن سائر شعراء هذه النهضة بتأليف الشعر المسرحي . اذ قام بتأليف رواية المروءة والوفاء المبنية على حكاية حنظلة والنعمان

(١) مجلة العصبة السنة الخامسة ص ٧٥١

(٢) تاريخ اداب اللغة زيدان ج ٤ ص ٢٤٠

تأليفاً مسرحياً شعرياً بلغت ابياتها الالف » واما النوع الثاني اي الشعر الحوارى فهو ليس بالمسرحى البحت وانما هو اقرب شيء اليه . فالحوار يقع فيه غالباً بين شخصين او ثلاثة . واكثر ما يكون لاغراض تأملية او « فلسفية » اذا جاز لنا هذا القول . وكثيراً ما يكون الحوار من قبيل التجريد . كأن يخاطب الانسان نفسه بقصد التأمل . فاذا المرء اثنان هو ونفسه ، او ثلاثة هو ^(١) وعقله وقلبه . وهذا الشيء يكثر في الادب المهجري الى حد بعيد . ويقتضى ان الادب العربى لم يعرف له مثيلاً في جميع ادواره . واما النوع الثالث اي الرحلات الخيالية فاشهر ما عرف تاريخنا الادبى منها رسالة « الغفران » « للمعري » « وثورة في الجحيم » للزهاوي . فالاولى منها نثرية وهي في نظري لم توضع على اسس فنية . فلا اثر فيها تقريباً للتصميم الفنى والتركيز الذهني . والثانية وان كانت فيها شيء من ذلك ، الا انها تخلو من المسحة الفنية غالباً . تلك المسحة التي تتركها الانعام الموسيقية المختلفة . في المقاطع المختلفة وتكاد تخلو تقريباً من الاستعارات والتشابه الطريفة كما تخلو من المعاني والافكار المبتكرة . ناهيك بما فيها من تكلف في التزام الروي الواحد الى اخرها وما فيها من حشو واستطراد . ومع هذا فلا تخلو من جدة وطرافة

غضبوا حقكم فيا قوم ثوروا
ان غضب الحقوق ظلم كبير
فيجب الجمهور .

غضبوا حقنا ولم ينصفونا
انما نحن للحقوق نثور
على اننا اذا استطعنا انكار التجديد في قصيدة الزهاوي « الجهنمية »
ومتكنا من انكار وجود الظلال الفنية فيها ، فليس باستطاعة احد من
الناس ان ينكر على - الزهاوي رغبته في التجديد واخذه باسباب التقدم
الفكري . فهو بالرغم من كل ذلك علم من اعلام الادب وقائد من قادة

(١) من ذلك قصيدة على طريق ارم لنسب عريضه كما سيجيء .

الثورة الفكرية في البلاد العربية . واذا ما عدنا الى ما كنا في استقصائه وجدنا ان من مظاهر التجديد في الادب المهجري تلك القصائد او الملاحم الخيالية القائمة على شيء كثير من التصميم الفني . الشيء الذي خلا منه الشعر العربي في جميع عصوره . قال الدكتور طه حسين مشيراً الى ما في قصيدة فوزي المعلوف — على بساط الريح — من وحدة وانسجام وهندسة فنية ما يلي : « وقد قسمت القصيدة^(١) اقساماً ورتبت اناشيد . والف بين هذه الاقسام والانشيد تأليفاً طبيعياً منطقياً يكون وحدةً متجسمة بديعة التنسيق . وبثت في هذه الوحدة حياة قومية قوية . وحركات ثلاث ما في هذه الحياة من القوة . — ثم بثت بين هذه الحياة والحركات نجوى هادئة وديعة مؤثرة تصور روح الشاعر الهادي الوادع ، على ما يحطم نفسه من اليأس » . الى قوله — ونلاحظ قبل كل شيء انه اختار البحر الخفيف من اوزان الشعر لقصيدته . لم يغير فيه طوال القصيدة . ولكنه غير القوافي بتغيير الاناشيد . والتزم في البيت الاول من كل انشودة نوعاً من الموسيقى يهبه ظرفاً وجمالاً موسيقياً خاصاً . الى قوله : « واعيد الآن ما قلته من ان القصيدة لا تمتاز بالابتكار . فليس فيها او لا يكاد يكون فيها شيء مبتكر . وانما تمتاز بهذا الروح الحلو القوي الوادع الذي تكون من جمال الشعر والموسيقى . وانبت في القصيدة كلها فجعلها كلها خليفة ان تقرأ . الى قوله — « لقد خسر الشعر العربي الحديث بموت هذا الشاعر الذي لم يكده يتجاوز الثلاثين . ولعل بما يعزّي ان يكون بعض الشعراء المصريين قد عرفوا لهذا الشاعر قدره » . يستفاد من قول الدكتور طه حسين ان القصيدة ذات وحدة منطقية . وان في اختلاف الموسيقى في مقاطعها وفي الصور الحلوة فيها ، ما يزيد في جمالها ورونقها . وهو قول وجيه . ربما كان

الدكتور مصيباً في قوله «ان القصيدة لا تمتاز بالابتكار». وذلك بالنظر الى توليد المعاني فيها . ولكننا لا نغالي اذا قلنا ان القصيدة بكاملها مبتكرة جديدة، وان يكن الشاعر قد نهج في أسلوبها منهج كبلنج كما ينوه بذلك الاستاذ صديق شيبوب، حيث يقول - «ولكن»^(١) شاعرنا العربي في نظمه هذا قد اتى على غير نمط الشاعر الانكليزي الذي يستتبع ابياته بفصل نثري . اما المرحوم فوزي المعلوف فقد جعلها كلها نظماً . وبالطبع فان استدراك الاستاذ شيبوب لا ينفي عن فوزي تهمة التقليد والمحاكاة، الا ان يكون قد فعل ما فعل على غير ما تأثر باحد من الناس . ولكنه بالرغم من هذا وذاك تبقى قصيدته شيئاً جديداً في ادبنا العربي وانها لظاهرة من ظواهر الجدة فيه .

وللشاعر الاسباني فيلاسباسا الذي يقدم قصيدة على بساط الريح هذه، رأي في الشعر العربي طيب الاثر . وإن كان لا يخجل من الغلو والاسراف . فهو لا يرى شاعرية فوق الشاعرية العربية . ولا يرى فناً فوق الفن العربي . وكنا نود لو كان هذا الكلام واقعياً اذ فيه لنا كل الفخر . من ذلك قوله «وما من»^(٢) ريشة في العالم منذ ابلس الى دي فينشي ومنه الى دي تورس، اخرجت مثيلاً لتلك الالوان المتناسقة في الحزف المموه والفسيفساء المرصعة والنقوش الساحرة التي خلفها العرب الى قوله «ليس في الشعر العربي ما في الشعر الغربي من شلل تعرض له في مختلف الازمنة فمني باوبئة تستدعي العلاج واستدراك الحلل الناجم عن العفّة القسرية والتشبث بالعادات المسيحية مدى عشرين قرناً . فقد كان العرب مطلّقين من مثل هذه القيود . يرتوون بكل ما في الحب من متع حسية . فجاء شعرهم أسمى روحاً . الى قوله - يولد العرب

(١) ذكرى فوزي ص ٧٧

(٢) على بساط الريح ص ٧ - ٩

فيخلق معهم النضوج وتواكبهم^(١) الحكمة . الى قوله - « واعيد القول ان الادب العربي فوق كل فن . الى قوله « بينما اقرأ على كتاب بساط الريح عرضت لي هذه الخواطر بما فيها من حقائق محزنة . وان هذا الكتاب هو بحق اجود منتوجات فوزي المعلوف الشعرية . لذلك نقلته شعرا الى الاسبانية مقدمة مني الى ابناء لغتي ووطني . الى قوله - « لم يصب شعب من موهبة الشعر الالهية مقدار ما اصاب منها الشعب العربي » . فما اجدره بعد هذا التقريض السخي بأن يردد مع الفرزدق :
اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجمع
وآتي القول : إن الشعر العربي ولا سيما الاندلسي منه وما يدور حوله من شعر قديم حديث ليمثل في نظر فيلاسباسا خير ما انتج العرب من ادب فني .

فالعرب اشعر الناس واصفاهم ذهنية ومزاجاً . وهو قول يحتاج الى النظر . وعندني ان الشاعر العربي لم يخلق الا في الشعر الغنائي الوجداني . وحسبه ان يكون قد جرى فيه الغير من شعراء الوجدان العالمين . اما بقية الالوان الشعرية كالقصصية مثلاً فقد قصر فيها تقصيراً واضحاً . وقد يكون معذوراً وانت تلوم . على ان العرب قد اخذوا في نهضتهم الحديثة^(٢) يعوضون عما فاتهم من تقصير . فانجبه شوقي في ايامه الاخيرة نحو المسرحية الشعرية فخلق حيناً واسف حيناً آخر . ولعل تحليقه جاء من ناحية الصياغة والقالب . اما من ناحية الاخراج المسرحي فقد قصر بعض الشيء . ومع هذا يظل شوقي امير المسرحية العربية حتى الساعة . وكذلك اتجه ادباء المهجر نحو الادب الملحمي وان كان ما انتجوه ليس من الملاحم في شيء كما اشرنا الى ذلك قبلاً . وهم في

(١) المصدر ذاته

(٢) هناك محاولة قام بها الشاعر بولس سلامة لا ادري ما حظها من التوفيق . هي « ملحمة الغدير » كان ذلك بعد الفراغ من دراستي بقليل .

ملاحظتهم هذه اذا صح اعتبار « على بساط الريح » لفوزي المملوك وعبر
 لآخيه شفيق ومراحل الحياة لسعيد اليازجي والمسيح والعاثرة لايلياس
 قنصل والمواكب لجبران والحكاية الازلية لآبي ماضي واحلام الراعي
 لفرحات وعلى طريق ارم لنسيب عريضة وغيرها من القصائد ذات الانشيد
 المختلفة ، اقول وهم في ملاحظتهم هذه اذا جاز اعتبارها ملاحظتهم قد نجحوا
 حينما واخفقوا حينما آخر. على ان جميع هذه القصائد لا تخرج عن حد الشعر
 القصصي. ومع هذا فهي جديدة في ادبنا العربي. وهي تختلف عن العادي
 من الشعر القصصي. كذلك نظم المهجريون في العادي من شعر القصة
 القصائد الكثيرة ومنها الغث والسمين .

ولعل احبها الى النفس قصيدة الراهبة للشاعر فرحات . لما فيها من
 خيال مجنح وتصوير بارع . وقد كان في رغبتى اثباتها هنا مع رفيقات
 لها . لكنني اختصرت بسبب التوفير لا التقصير . فما عليك الا ان
 تطلبها في مظانها .

طابعه

حسبك من روعة هذا الشعر ان يكون موسوما بطابع الحنين والتأمل والتحرر. تلك السمات التي هي من ابرز خصائصه وأجلى مظاهره. وهي ما وسم بها الشعر العربي بصورة عامة والعباسي منه بصورة خاصة. إنما على قصد واعتدال . باستثناء شعر المعري الذي تفجر وكأنه الهمم البركانية يقذف بها صدره فتصب شواظا فوق رؤوس الظالمين والمرائين من رجال الدنيا والدين . ولن ننسى النواصي في خمرياته وفي تحرره من اماليب الاقدمين في النظم والتفكير. بحيث وضع حدًا لذلك الوقوف التقليدي المصطنع والحنين الزائف . على ان الحنين لون صارخ في الشعر العربي قديمه وحديثه . واعني به ذلك اللون الاصيل المصبوغ بعواطف الشاعر ورغباته . ومن اجدر به من شعراء الصحاري والواحات . وهو الذي كان انشودة القوافل يرددها الحداة صباح مساء . إن في طبيعة الواحات ما يفرض على الشاعر الحنين الى مربع ذابل ومصيف زائل .

اما الحنين في الشعر العباسي فاكثر من عرف به اربعة . هم في رأيي المتنبي وابو فراس والشريف الرضي . وابن زيدون من شعراء الاندلس . وللشريف ابيات فيه قلّ نظيرها تحسّ وانت تقرأها مستوقفاً ، بان قلبك على وشك الفرار من بين يديك . وكأنه الطائر السجين يطل من وراء شبابيك الضلوع الحانية .

وطلوها بيد البلى نهب	ولقد وقفت على ديارهم
نضوي وليج بعذلي الركب	فبكيت حتى ضجّ من لعب
عني الديار تلفّت القلب	وتلفّت عيني ومذ خفيت

الحنين

ليس القول بأن الحنين قديم العهد ضرباً من الاكتشاف . فلقد كان منذ كان الانسان . على حد قول ابي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابدا لاوّل منزل .

ثم ليس من الغرابة في شيء ان يأتي الادب المهجري مصبوغا بالشوق والحنين . وهو الذي ينبع من قلوب قضى عليها الدهر بالهجران والحرمان . على ان الجديد في الامر هو ان هذا الحنين راح ينسرب في ثلاثة روافد ليستقرّ اخيرا في بحيرة الحياة الواسعة . فهناك الحنين للام وللوطن الام . وهناك الحنين الى الطبيعة . وهناك الحنين الى العالم المجهول .

وقد يخلط الشاعر احيانا بين غرض وآخر . وعلى كل فالحنين الى الطبيعة ليس سوى رمز فلسفي للحياة الحرة . وهي نزعة شبيهة بتلك التي نزع اليها الادب الفرنسي قبيل الثورة . كما في نتاج فولتير وروسو . وكيف لا يحن المغترب الى بلاده وهو الذي ترك فيها الام والزوج والولد . ناهيك بما في بلاده من جمال ساحر وما في حناياه من تذكّار قاهر . فيقول عقل الجر متشوقا الى لبنان بهذا البيان الساحر :

ذكر الارز بعد شطّ مزاره	اي جرح يسيل من تذكّاره
ليس اشهى على القلوب واندى	من شذا شيجه ونفح عراره
عانقت سدّة الكريم رواسبه	والقت ظلالها في بحاره
وطن بالعيون نسقي ثراه	إن توانى الغمام عن إمطاره
إن حر منا من نعمة العيش فيه	ما حر منا من مرقد في جواره

ويقول ندره حداد متلهفا الى الربوع السورية والى خمائل حمص .

أيها الآتي من الاوطان والاطوان حلوه .

لم اجد عنها وإن طال زمان البعد سلوه .

وطن اوجد مذ فارقته في القلب جذوه .

بل كيف للمغترب ان ينسى وان يسلو وهو الذي إذا ما لاحت له
قمم الجبال في دار غربته معممةً بالثلوج حبا الى جبال بلاده . وهو إذا
ما رأى جدولا ينساب او نهرا يندفع او روضة تزهر تشخص له لبنان
في جداوله ورياضه . فإذا به يحمل على زورق من احلامه وامانيه بحيث
يرى نفسه بين اهله واحبابه : فيردد مع رشيد ابوب :

يا ثلج قد هيئت اشجاني ذكرتي أهلي بلبنان

ويردد مع الشيخ سعيد اليازجي :

كلما قادم اطل علينا من رباه نشم عبق عطره

تربة الغير خصبة غير أنا نصطفيه على صلابه صخره

رب قلب لم يدرك لالحق معنى وفؤاد حوى الغرام بأسره

وقد كان هذا المغترب اذا ما رأى علماً يخفق . او جيشاً يتحرك .
او شعباً يفاخر . حرّك ذلك المشهد منه نوازع الغيرة . فاذا هو وطني
مندفع يود لو يفتردي ذلك الوطن بروحه وماله . ناهيك بمناظر الطبيعة
المشابهة لمناظر بلاده . كذلك يتجلى حنين المغتربين فيما ينظمون وينشدون
من غناء بلدي ولكم نسمع الشاعر العامي في مجالسه يردد في لوعة
وتحسر :

« يا بحر حاج فيك حبايبنا »

هذا البحر الذي جرف خيرة شباب لبنان الى الشواطىء البعيدة . وقليل
من عاد منهم . فكأنني بهم من سبي هذه الغربة القاسية . ومن يدري فقد
تكون « المواليا » التي نعرفها في غنائنا البلدي من آثار الموالي التي
ابعدتهم الحروب . فكان عليهم ان يعيشوا بعيداً عن اوطانهم . وربما

جاءت « المواليا » اكثر الالوان الشعبية مرارة والتياغاً .

استمع الى نعيه يحدثك عن بعض مجالس المغتربين قال : « في صيف تلك السنة اتفقنا انا وجبران ونسيب عريضة وعبد المسيح حداد ان نقضي عطلة قصيرة في البرية . فانطلقنا في اواخر حزيران الى مزرعة صغيرة تبعد نحو مئة ميل عن نيويورك اسمها كوهنزي . في تلك العزلة المعطرة بالسكنينة المكحلة بالجمال قضينا عشرة ايام مرت كعشر دقائق . »

« جلسنا على تلك الصخرة

ووجهتنا الشلال . ومع انه لم

يكن بيننا ولا واحد يحسن الغناء

فما شعرنا الا ونحن نغني . اما

اغانينا فكانت كلها من الاغاني

القومية القديمة المعروفة في لبنان

وسوريا . مثل « العتابا والميجانا ،

وابو الزاف ، والمواليا » ومن

بعدها اخذنا نسردها ما نذكره من

الشعر العامي القديم . فأنشدنا



(جبران خليل جبران)

جبران « مواليا » كان شديد الإعجاب به ومطلعه :

يا زين عن درب الهوى ضعنا من كثرة ما فيكم تولّعنا

مشتاق اليكم والمجال بعيد يا ريتنا كنا تودّعنا

وبهذه المناسبة لا بد لي من التنويه بان الشعر الفصيح كثيراً ما

يكون من وحي الشعر العامي وبالعكس . ومن شاء فليراجع على سبيل

المثال قصائد رشيد نخلة الذي هو في رأي اول من جود الشعر الشعبي .

وللشعر العامي هذا حديث يطول . وكيف كان الحال فقد نهض الريحاني

وجبران الى ترجمة بعض الشعر العامي الى لغة العم سام . لعل الاجيال

الجديدة تطلع عليه . وكانت تلك الترجمات تنشر غالباً على صفحات مجلة
العالم السوري لصاحبها سلوم مكرزل « The Syrian world »

من هذه الترجمات المقطع التالي لجبران :

وطلعت راس الجبل	فتش على طيري
ولقيت طيري يامو	يشدي بقفص غيري
خشخشت لو بالذهب	قلتلو يا طيري
قلبي زمانك مضى	فتش على غيري

I wandered among the (1) mountains, searching for my lark
And I found him but Alas, in another's maiden cage.
with the tinkling of Gold I sought to allure him into my cage
But she sang and said « Go your way your day is forever by. »

ومن ذلك ايضا ترجمة الريحاني لهذا المقطع من اغنية مرمر زماني :
شوف الحليوة حاملة الشمسية بيضا وظريفه والعيون عسلية
وقلك يامي ما اخذت لي هي بعمل عمائل ما عملها عنتر

with parasol in hand. behold her passing
Her brow, the dawn; her cheek the rose surpassing
O mother, if I win her not, amassing
The gifts of love, e'en Antar I'll surprise.

ففي هذه الاغاني القومية والاقليمية الشيء الكثير من آثار الهجر
والشوق . وقد كان من عادة الشاب العاشق اذا ما فارق حبيبته الى امريكا
او سواها من بلاد الله ، كان من عادته ان يطلب اليها تزويده بخصلة من
شعرها وهي عادة معروفة في لبنان . من ذلك ما اعرفه عن صديق من
لداتي ذهب الى اميركا وقد ابى الا ان تزوده حبيبته بشيء من شعرها
الذهبي . واهل الشاعر فرحات كان من هؤلاء المحبين حيث يقول :
خصلة الشعر التي (٢) اعطيتها عندما البين دعانا بالنفير

(1) The Syrian world 1927 P: 17

(٢) لقد صح ما افترضته سابقاً فجمعتني الصدق بحبيبته هذه في بيت احد اصدقائي
السيد نقولا صعب ، واذا هي ما تزال تحفظ هذا الشعر وهي من ال عبدالنور من
كفرشيا . وقد امتدحت الشاعر واثنت على ذكائه ووفائه . ثم ذكرتني بما كتب عنها في
جريدة الحياة .

لم ازل اتلو سطور الحب فيها وسأتلوها الى اليوم الاخير



ويجري هذا الموشح
على هذا النحو من السحر
الموسيقي والدفء
العاطفي الذي يبعثه
الحنين في كل بيت من
أبياته . كل ذلك
باسلوب بسيط وصنعة
ساذجة على طرافة
وامتناع .

ومن شعر الحنين
في الحب ، هذه القطعة
الرائعة التي قد تكون
خير ما نظم رشيد
ايوب ^(١) . ذلك الشاعر
الذي يعرف في
الاساط الادبية
بالدرويش .

(رشيد ايوب)

وتذكرنا الليالي فبكينا ..
من ثمار الحب نجني ما اشتبهينا
في حواشي العمر ما يحلو لدينا

هو من الله وعدنا فالتقينا
يوم كنا في بساتين الصبا
وهنت مثلي ولكن لم يزل

قلت هذي روضة هيا بنا
وجلسنا في حمى صفصافة
وضربنا موعداً ان لا نوى
انما لما طوينا ساعة
دارت الدنيا بنا دورتها
فتفرقنا كأنا ما التقينا
نتصايبى ومشيناها الهوينا
خيمت اغصانها عطفاً علينا
بعد هذا هكذا كنا نويها
يعلم الله بها كم قد طوينا
فتفرقنا كأنا ما التقينا

ومن هذا القبيل سلة الفواكه ^(١) لنسب عريضة - وقد لاحت من
خلالها حمص بجنتها الوارفة وظلالها الندية .

واستوقفتني على حانوت بقال عيني وقوف مشوق عند اطلال
لسلة لمحتها العين في الحال فيها فواكه لم تخطر على بالي
ثمار كرم وتين فوق رمان

وقفت رغما وحولي الناس ما وقفت اراقب السل والاثار قد بسمت
كأنها مذ رأني مدهشاً عرفت اني غريب فجيتني ومانطقت
فطار قلبي حيناً نحو اوطاني

وغاب عن ناظري ما كان قد لزمه انصاب نويرك والابراج والعظمه
والناس والطرق لا تنفك مزدحمه نسيتها كلها اذ هبت النسمه
تسوق نفسي وقلبي سوق اظعان

ومن هذا الحنين ايضاً خيمة الناطور لرشيد ايوب وهي تعكس
صورة من حياة القرية في لبنان . هذه الضيعة التي يتحدث الشاعر
اللبناني العامي عن « عرزاها » في كثير من الزهو والتلف .

لظلام الليل فضل في الحياة
ايها المغرور مثما للنور

فخذ الدنيا وما فيها وهات خيمة الناطور

ومن شعر الحنين الصارخ قول شفيق المعلوف من قصيدة موضوعها
« الاياب » القاها في رحلة في حفلة تكريمية اقيمت له . وهي من روائع
الشعر الصافي :

اي صوت ادعى غداة التنادي من نداء الاكباد للاكباد
صدقت ذمة الزمان وعدنا نفض الجمر من خلال الرماد
هاك ملهى الصبا فيا قلب للمم ذكر ياتي على ضفاف الوادي
وبما قاله ابو ماضي :

اثنان اعيا الدهر ان يلبسهما لبنان والامل الذي لذويه
نشاته والصيف فوق هضابه ونخبه والثلج في واديه
وطني ستبقى الارض عندي كلها حتى اعود اليك ارض التيه
سألوا الجمال فقال هذا هيكلي والشعر قال بنيت عرشي فيه
وحسبك من حنينه العارم هذه المقطوعة من قصيدة في رثاء ابيه :
طوى بعض نفسي اذ طواك الردى عني

وذا بعضها الثاني يفيض به جفني
شخصت بروحي حائراً متطلعا الى ما وراء البحر ادنو واستدني
كذات جناح ادرك السيل عشبها فطارت على روع تحوم على الوكن
فواهاً لو أني كنت في القوم عندما نظرت الى العواد تسالهم عني
وقال جووج صيدح :

وطني اين انا ممن اود . او ما تلحظ بعد الجزر مد .
ما رست بي ههنا فلك النوى لو اباحوا لي في (١) الدقة يد .

(١) نحمد الله على ان هذا الشاعر الملهم اتيح له ان يمكك دفعة سفينته ليعود بها الى شواطئه لبنان . واتيح لنا ان نعرفه عن كذب . ولقد اهداني مجموعة من « نبضاته » الشعرية امسكت عن التحدث فيها لعدم تمكني من اضافة اي حديث لرسالتي السابقة .

وقال ايضاً :

ولئن نسيت فلست انسى صخرة كانت مكاني المصطفى تحت السما
في جوفها حوضٌ صغيرٌ جامعٌ ما شاء من قطر الغمام اذا همى



(جورج صيدح)

تهوى الطيورُ وروده فاصدّها عنه واسكب فيه دمعي عندما
يا طير عنطورا احترس من مائه دمع الهوى مرّ فلا يروي الظما
عنطورا ١٩١١

وقال القروي :

غرست بلبنان ورد الاملُ فقل للبرازيل ان تمحلا
وجدت عليه بمنز المقلُ فقل للامازون ان يبخللا
وحلّيت قلبي « بنبع العسل » فقل لليالي امطري خنظلا.
وقال نصر سمعان يصف المغترب :
من رآه وقبضة الموت تستل تباعا من قلبه خفقاته

من رآه معانقا طيف أمّ سكبت روحها على وجناته
من رآه يودع الامل الحلو وطيف القنوط في نظراته

• • •

وقال الياس قنصل :

يا بحر احكام الفضاء جميعها هانت على نفسي سوى حكم النوى
فلكم حملت من الجراح ومهجتي تنتابها لحنينها نوب الجوى
وقال ندره^(١) حداد :

يمر ذكر الصبا انغام مزمار
او نفح زهر الربى في شهر ايار
ما قيل لي مرحبا في كل أسفاري
الا وقلبي صبا للاهل والدار

فقد كان كل واحد من شعراء المهجر يتغنّى بقريته الخاصة او اقليمه الخاص . وكان البعض منهم لا يرون في لبنان الا جزءاً من سوريا الكبرى . وهي عندهذا البعض ليست سوى جزء من الوطن العربي الاكبر . على ان سواد المغتربين كان يرى في سوريا الوطن المشترك الذي يجمع بين مختلف صفوفهم . لا سيما وبينهم من السوريين من هو أديب فذ وشاعر لامع . من امثال نسيب عريضة وعبد المسيح حداد وندره حداد ونظير زيتون وسواهم . وهؤلاء جميعاً من حمص .
واليك ما يقوله فرحات :

موطني يمتدّ من بحر المياه ممعنا شرقا الى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه بجبال فائق حدّ الجمال
ذكره يغري فتاه بالمعالي
انا لا ارضى سواه فهو مالي

والظاهر ان الحزب القومي السوري اساء فهم الشاعر في تحديده هذا الوطن . فظنّ قوله مستوحى من فكرة الزعيم انطون سعادة . بما حمل فرحات على تكذيب هذا الظن . وقد يكون ان احداً من الناس عاتب الشاعر على تهاونه بعروبتة فاراد تبرير نفسه . وهو العربي القلب واللسان كما (١) جاء ردّه .

في الواقع لم يكن الشاعر المهجري ليفرق بين لبنان وسوريا . خصوصاً وكلا البلدين يزحان تحت نير واحد هو نير الاستعمار الفرنسي . هذا وقد تعجب كيف يأتي نشيد النادي الفينيقي وهو من نظم الشاعر عقل (٢) الجر نشيداً عربي اللسان والهوى . في حين انه 'نظم لنادي' بصلة الى نزعة فينيقية ولو إسماء . ومن بعض مقاطعه ما يلي :



انتم خير الامم
فاقتفوا اثر الجدود
واملاوا الدنيا عظم
وابعثوا فينيقيا
حسبكم نادي الادب
وعكاظ المهجر
محيا مجد العرب
من بطون الاعصر
ناشدا ما طويا
طرف لبنان الجميل
عن هواكم لم ينم
وبعرفان الجميل
زهر سوريا نسّم
باسمها مزدهيا

(عقل الجر)

اقول وما احسبني مخطئاً اذا قلت : ان الدعوة لتوحيد سوريا كادت تكون عامة . فقد كان توحيدها في بلد واحد من احلام هؤلاء المغتربين . تتجلى لك هذه الدعوة القومية واضحة في ادب امين ^(١) الريحاني . وهو في رأبي الموجه الاول في حقل البعث العربي للمغتربين جميعاً . وحسبك ان تقرأ له مقالة موضوعها : « عشرون ^(٢) حجة » حيث يقول :

« لو لم اكن اعتقد اعتقاداً تاماً ان مصلحة جبلنا وخير ابنائه انما هو في اتحادنا مع اخواننا في الداخلية لما كنت والله اقول كلمة في هذا السبيل . لا اسأل النازعين الى الانفصال العدول . ولا اتوقع في ما اقول القبول . دون ان تسمعوا برهاناً بل براهين » . ثم يسرد منها نحواً من عشرين .

وانا انما اثبت هذه الحقائق التاريخية ليس لغاية سياسية في النفس . فليس من شأني الآن ان ادعو الى وحدة سورية او عربية . بل جل قصدي هو ان اثبت ان ذلك الحنين الوطني لم يكن موقوفاً على لبنان وحده . وذلك شيء طبيعي . خصوصاً وبين المغتربين من هم ليسوا لبنانيين مولداً ومنشأ . فكان من المعقول جداً ان يتنامى هؤلاء المغتربون الشيء الكثير من العنعنات العصبية والاقليمية والطائفية طالما جميعهم غرباء . على حد قول الشاعر : وكل غريب للغريب نسيب !

كذلك انتج هذا الحنين ما بوسعك تسميته بادب « الامومة » هذه الامومة التي قل ان تجد لها نصيباً في ادبنا العربي . الا ما جاء عرضاً في مناسبة رثاء . كأن يفقد الشاعر أمه او جدته كما فعل المتنبي . أما ان تكون الام مصدر وحي وموضوع تقديس واحترام فذلك شيء جديد يطالعك به الادب المهجري مزهواً فخوراً .

ولعل الشاعر القروي اولى من يحق له ان ينال هذا الشرف الباذخ.
ومن قوله :

عدوي لا تظن الشهد شهدي ولا المن الذي استحلّيت مني
فلي ام حنون ارشفتني سلاف الحب من صدر احنّ
على بسماتها فتحت عيني ومن لثامها رويت سني
حباني حبا فوق احتياجي ففاض على الوري ما فاض عني



(رشيد الخوري)

وله ايضاً :

ولو عصفت رياح الهم عصفاً ولو قصفت رعود الموت قصفاً
ففي اذني عند النزاع صوت يحوّل لي عزيف الجن عزفاً
فيطربني وذلك صوت امي

ولعل اروع ما قيل في هذا الباب قصته الخيالية في رغبة الله عز
وجل بان يكتشف سر نعيم الشاعر الذي يفوق كل نعيم . الا وهو نعيم

الامومة . فكان أن ولد الله مسيحاً حنوناً :

ساكشف سر حضن الام هذا ولو كلفت ان اشقى واعدم
ومرّت ساعة واذا صبيّ صغير نائم في حضن مريم
ومن شعر الامومة الموجه قول امين^(١) مشرقاً مشيراً الى الجوع

الذي حدث بلبنان من جراء ظلم المستعمر التركي :

يا نسمة الصبح لامسيها وبردي قلبها الحزين
يا نسمة الصبح قبلها في الحُد عني وفي الجبين
أماه بالله ما دهاك وما دهي اخوتي الصغار
هل اوقعتمكم يد الهلاك ما بين نار وبين عار
وهل طفئ فيكم الاعادي وطاردوكم الى البوادي
اماه ها انني انا دي اماه هل انت تسمعين
ومنها : امي صرتم بغير مأوى ..
مرضى تذوبون دون شكوى كشمس لبنان في الغياب
وحولكم خيم السكون وانغمضت في الدجى العيون
ومرّ في بالكم امين أمّاه ردّي انا امين

ومن اغرب الامر ان يموت هذا الشاعر اللبيب^(١) وهو ما يزال في
شرح الشباب . وان يتوفاه الله وامه في ساعة واحدة . وذلك على اثر
اصطدام سيارة فلم تهملها الصدمة الا قليلا .

ومن هذا الشعر الزاخر بدفء العاطفة نحو الام وتقديس الواجبات
البنوية قول ابي ماضي :

(١) ١٨٩٨ - ١٩٣٧

(١) لم يترك هذا الشاعر ديواناً مطبوعاً ، ولكنني علمت من نسيبه الصديقين
الكريمين مروان نصر ورجا حوراني ان « مجموعة شعره » هي في حوزة الاديب
الناقد نسيب عازار من ابناء غرزوز . فعاها نخرج الى حيز الطباعة قريباً .

وانت قال الصجب واستضحكوا هل لك حسناء تحيها
 قال - اجل اشرب سر التي بالروح تفديني وافديها
 لا تترضاني رياءً ولا تلمني كذباً وتمويه
 يضيع مالي ويزول الصبي وحبها باق وحيها
 سر التي لا غادة بينكم مهما سميت في الحب تحكيها
 فصاح رب الدار يا سيدي وصفتها لم لا تسميها

• • • •

التخجل باسم من تهوى احسنا بغير اسم
 فاطرق غير مكثوث وتم خاشعا ... أمي

فان دلت هذه القصائد على شيء . فانما تدل على حنين مذهب تسامي
 بالنفس فاذا الام في الذروة من البشرية . واذا الامومة اقدس ما
 عرف الانسان من حب واخلاص . ولعل في ذلك دعوة غير مباشرة
 لاحترام المرأة الشرقية واحلالها المحل اللائق بها .

وهناك لون آخر من الحنين . قد اتخذ له شكلا فلسفيا . فاذا
 الشاعر فيلسوف يدعو الى البساطة في الحياة . والبراءة في الحب . والحسنى
 في المعاملة . واذا المدنية الحالية في نظره بالرغم مما هي عليه من تقدم
 صناعي ، وبالرغم مما فيها من اسباب الراحة ووسائل العمران ، وبالرغم
 من الكهرباء وما نجم عنها من اسباب اللهو والمرح وتخفيف الآلام ،
 مدنية فاسدة . قد افسدت ما في كيان الانسان من عناصر البراءة
 والحب والطهارة التي منحته اياها الطبيعة . وهم يتمثلون الحياة المثلى في
 « الغابة » التي ترمز الى البساطة في العيش احيانا . كما ترمز الى الحياة الحرة
 في آفاقها البعيدة .

ولعل هذا الحنين الى الغابة . على ما يتبادر للذهن ، اثر من آثار
 المدرسة الرومنطيقية التي انتشرت في مطلع القرن الثامن عشر . وكان

من دعائها روسو وامثاله . وهي تتجلى واضحة في كتابات المهجريين
جميعا . من نثرية الى شعرية . ولعل البادي الاول في هذه الحركة
الرومنتيكية جبران خليل جبران في مواكبه . حيث يقول :

ليس في الغابات عدل لا ولا فيها العقاب
فاذا الصفصاف القى ظله فوق التراب
لا يقول السرو هذي بدعة ضد الكتاب

وهي نظرة لا تخلو من تشاؤم . بحيث يتصور الشاعر أن الناس
حوله ذئاب خاطفة . ووحوش ضارية . بل الوحوش خير منهم في
ظروف كثيرة . والشاعر في غابته هذه يرى سلطان الغابة وسيدها .
وهي مملكته المثلى . وغايته القصوى : فيقول ابو ماضي في قصيدة
موضوعها الغابة المفقودة .

يا لهفة النفس على غابة كنت وهنداً نلتقي فيها
نباغت الازهار عند الضحى متكئاً في نواحيها
الوى على الزنبق نسرينها والتف عاريها بكاسيها
واختلجت في الشمس الوانها كأنها تذكر ماضيها
الى قوله : لا غابتي اليوم كعهدي بها ولا التي احببتها فيها
قد بدّل الانسان اطوارها واغتصب الطير ماؤها
وفت بالبارود جلودها واجتث بالفأس دواليها
وشاد من احجارها قرية سكانها الناس واهلها

وقال فوزي^(١) المعلوف :

نسي الحير حين اوغل في الشر فداس الضمير في عصيانه
ملأت قلبه الافاعي فلا يسمع غير الفحيح في خفقانه

فاذا بالأذى وليد حجاجه واذا بالشور بنت لسانه
 زجاً بالعلم في الفضاء طيوراً من جمادٍ يديرها بينانه
 ما بناها إلاّ لهدم المباني ولسفك الدماء في طيرانه
 ليت لم يكن ذكياً فكل الويل في الكون من نهي انسانيه
 ليت عمرانه تأخر أجبالاً فكل الخراب في عمرانه
 ونحن وان كنا لا نوافق الشاعر على نظرياته المتشائمة إلاّ اننا نراها
 تطبق تماماً في هذه الحروب الساحقة التي يضطرم اوارها في انحاء^(١) الارض.
 وقال نعيمه :

هوذا اترابي قد سرحوا في الغاب يقودهم المرح
 وبقيت انا وحدي سكرانا يرقص في قلبي الفرح
 فجلست على كتف النهر ما بين العوسج والزهر
 العالم مملكتي وانا سلطان العالم والدهر
 وقال فرحات :

وعندما اتخذت لي وسادة من حجر ملقى لدى الغدير
 شعرت بالغبطة والسعادة كأنني الملك على السرير
 لم اهجر المدن الى الضياع الا احتراساً من ذوي النجاسة
 فلا يقاس الفرق في السباع بالجنس بل بالغدر والخساسة
 وقال رشيد ايوب :

جلست في الروض وحدي عند ساقية

يردد الماء فيها صوت الحاني
 والريح تحفق من حولي مهينة^١ كما يهيم قلبي الخافق العاني
 فقلت لما رأيت الروض مملكتي وأني بين انصاري واعواني
 يا ليت لائتي في الحب حاضرة كما تراني في عزّي وسلطاني

(١) لعلك تذكر ان هذه الرسالة التي بين يديك كتبت في نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقال القروي :

هيا الى الغاب اني قد بنيت لنا من الرياحين عشا لينا عطرا
لا تأملي من جوار الناس منفعة فلنبعد عن حماهم نأمن الضرا
وحش المدينة ما ذئب الفلاة عوى حول الحباء وما لئث الشرى زأرا
وقد تتمثل الغابة عند بعضهم في ربوع لبنان وبساطة الحياة فيه .
قال شكر الله الجر ، ولعله أشدّهم كلفاً بهذا الوطن .



(شكر الله الجر)

وما انا بمن يصحب الناس راضيا وهل ترتضي نفسي الى دونها صحبا
ولا انا بمن يأمن الغدر فيهم وهل يأمن الذئب من صحب الذئبا
ولو ان لي في اربع الارز نجعة لما اعتضت بالفردوس عن توبه توبا
ومن يدري فقد يكون حديث الغابة عند شعراء المهجر من وحي
المدنيّة الغربية الصاخبة او من وحي المواكب الجبرانية . وانا اميل الى
القول الثاني . مع العلم ان الريحاني كان أشدّ تحاملا على المدنية الغربية من
جبران . ولكنه ما افرغ تقمته تلك في قالب شعري يستهوي النفوس .

هذا والامثلة كثيرة جدا ، بحيث تضيق بها الصفحات الكثيرة . وهذا الحنين الى الغاب هو ظاهرة جديدة في ادبنا العربي قديمه وحديثه . ولا سيما في الشعر منه . واما الحنين الى العالم المجهول الى عالم الارواح فقد ، ظهر شيء منه في كتابات الصوفيين من الكتاب والشعراء . وليس هذا الحنين من صلب التفكير العربي على ما يظن . ولعل مرجعه الاول كتابات افلاطون وامثاله من فلاسفة اليونان . فقد كان من تعاليم فيلسوف اليونان الاكبر ، أن هنالك عالم ارواح غير قابل للتجوير والتغيير . وقد حوى هذا العالم مثالات الاشياء المحسوسة التي ترى في عالمنا هذا . فالتناس في حقيقتهم ليسوا سوى صور لمثال سرمدي هو الانسانية . وكذلك باقي الاشياء المنظورة . والنفس لجناية اقتوفتها ستبقى سجيناً في الجسد تكفر عن ذنبها . فتجدد من كمالها الى ان تدرك غايتها وتستعيد نقاءها فتنبجو من التناسخ . وتبرح التراب عائدة الى غابر هوائها في عالم الارواح . وقد تعود الفكرة الى ابن سينا الذي كان تأثر بفلسفة افلاطون هذه ، فنظم قصيدته المشهورة في النفس التي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّع

وهي القصيدة التي يشير اليها جبران في قوله : « ليس بين ما نظمه الاقدمون ^(١) قصيدة ادنى الى معتقدي واقرب الى ميولي النفسية من قصيدة ابن سينا في النفس فكأنني به قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وادرك مكنونات المعقولات بواسطة المرئيات .

والى هذا الاعتقاد يشير نعيمه في كتابه حيث يقول جبران « ان دورة الحياة ^(٢) لا تنتهي بعمر واحد . نحن نطلب الكمال نحن نفتش عن الله . فمن ذا يجد الله في عشرين سنة او في مائة او في الف . » وكنتم

(١) مجلة الفنون ج ٣ سنة ٣ ص ١٩١

(٢) جبران خليل جبران ص ٨٨

امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون » ثم يشير الى ايمان الطائفة الدرزية الكريمة بالتناسخ ايضاً .

والواقع ان نعيمه نفسه ، يعتقد بالتمص كما كان يعتقد به جبران وغيره من ادباء المهجر . وهذا الاعتقاد يتجلى فيما كتبوا من شعر ونثر . وهناك مذهب من مذاهب الحلول ونظرة من نظرات الصوفيين الى الحياة ، يرون فيها الكون بجميع مظاهره ، وحدة تامة . بحيث تضيع فيها خطوط الشر في خطوط الخير واذا الله منعكس في كل شيء من اشياء العالم المحسوس . وهو مذهب يأخذ به بعضهم فيقول نعيمه .

كحلّ اللهم عيني ، بشعاع من ضياك ، كي تراك
في جميع الخلق في دود القبور ، في نسور الجو
في موج البحار ، في صهاريج البراري ، في الزهور
في الكلا في التبر ، في رمل القفار ...

سئل نعيمه عن معتقده فقال : « اعتقد بالتمص اعتقاداً^(١) ثابتاً . واظنني اتيت هذا العالم قبل اليوم . وتعرفت الى من اعرفهم الآن في حالتي الصداقة والعداوة . ثم سئل وما الغاية من الضرب على وتيرة واحدة ؟ فاجاب : « لكي نصهر في بوتقة الكمال . حتى اذا كملنا انتهينا الى مصدرنا بالمعرفة الى الله . » ويقول في المسيح : إنه انسان تأله لا اله تأنس . واننا نظل هكذا دواليك تقمصاً حتى نصير مصيره . »

واذا فهناك عالم اخر هو عالم الله او عالم الروح الاكبر . واذا فاصحاب هذا المعتقد لا بد لهم من الحنين الى هذا العالم المجهول . وهذا الحنين الى عالم الروح هو منحى من مناحي الصوفية ورغبة من رغباتهم . وصوفية بعض المهجريين هي في حقيقتها صوفية مسيحية تتفق وقول المسيح « انا في الاب والاب في » . قال جبران : « لم يهبط يسوع من دائرة النور الاعلى ليهدم المنازل ويبني من حجارها الاديرة والصوامع ويستهوئ الرجال الاشداء ليقودهم قسوساً ورهباناً . بل^(٢) جاء ليبت

(١) المكشوف سنة ٢ عدد ٧٢ ص ٦

(٢) العواصف ص ٢٨

في فضاء هذا العالم روحاً جديدة قوية تقوّض قوائم العروش المرفوعة
على الجماجم . « ودائرة النور الاعلى هي العالم الروحاني الذي عناء
افلاطون . وبما قاله نسيب عريضة مخاطباً نفسه :

أصعدت في ركب النزوع حتى وصلت الى الربوع
فأتاك امر بالرجوع أعلى هبوطك تاسفين ؟
فيقول الدكتور مندور معلقاً : « تلك نغمات افلاطون الشعرية
الجميلة . يوم حدثنا عن هبوط النفس من عالم المثل ^(١) الذي لن نستطيع
ان نغالب الحنين اليه . ولكم
جرت بذلك انفاس الشعراء منذ
ابن سينا الى لامارتين . وهو
مذهب قديم عند كبار الشعراء .
اذ نراه من اهم خصائص شعر
هوميروس الذي يشبه البشر
باوراق الخريف »
قال نعيمه :

ايه نفسي انت لحن
في قد رنّ صداه
وقعتك يد فنان
خفي لا اراه
انت ريح ونسيم
انت موج انت بحر
انت برق انت رعد
انت ليل انت فجر
انت فيض من اله .



(نحاتيل نعيمه)

وقال جبران مخاطباً البلاد المحبوبة :

يا بلاد الفكر يا مهد الالى
عبدو الحق وصلوا للجمال
ما طلبناك بركب او على
متن سفن او بنجل ورحال
لست في الشرق ولا الغرب ولا
في جنوب الارض او نحو الشمال
لست في الجو ولا تحت البحار
لست في السهل ولا الوعر الحرج
انت في الارواح انوار ونار
انت في صدري فؤاد^١ مختلج
وقال فوزي المعلوف :

انت يا روحهم^(١) من النور ذرات اضاءت في الكون في عالميه
تصل الارض والسماء بنهر غمر الحسن والهوى ضفتيه
لست من عالم التراب وان كنت تقمّصت بالتراب عليه
انت من عالم بعيد عن الارض يفيض الجلال عن جانبيه

التأمل

ومن الحنين ننتقل بالقاريء الكريم الى شعر التأملات . والتأمل
في الشعر المهجري من ابرز خصائصه . وبهذا كان الشعر المهجري عميقا
في احساسه . وبهذا كان الشاعر المهجري شاعرا وفيلسوبا في الوقت
نفسه، اذا جاز لنا هذا القول . ان الشعر العربي لم يخل من التأملات
الروحية، لا سيما بعض شعر الصوفيين والمفكرين . من امثال ابن الفارض
وابن العربي وسواهما .

الا ان التأمل لم يكن عاما كما تراه في الشعر المهجري . بحيث لا
تستطيع ان تستثني شاعرا واحدا منهم ، لم يجر في شعره التأمل الجري
الفلاسفة الروحيين . وكأني به لا يفرغه الا في قالب من الكلام
المسؤول . كما في الاماليب الفلسفية . ويلاحظ ان القلق صفة خاصة

(١) على بساط الريح ص ٥٤

من صفات هذا الادب الذي نعرض له . فهو ادب فيه الكثير من الشك واليقين . بل هو ادب الروح القلق والقلب المشكك والعقل الحائر . تلك هي صفة الادب الابداعي بصورة عامة . ومنهم من يصطبغ ادبه بهذه الصبغة الى حد بعيد . من هؤلاء مثلاً ابو ماضي وعريضة ونعيمه وفوزي المعلوف . فمن عامل الغربة كان الحنين ومن عامل الفشل التجاري كان الشوق الى العودة . يكفي للتدليل على هذا ، ان تطلع على « حكايات » المهجر « لعبد المسيح حداد . حيث ترى صوراً قاسية للحياة التي عاشها السوريون في باديء الامر .

قال فرحات :

هنيئاً لكم حول اخوان اجتماعكم وصاحبكم يطوي القيا في بلا زاد
وعندكم الماء النмир مسيله جزافاً على وجه الثرى وانا صاد
واولادكم في الجوخ تدفا جسومهم فما همكم ان يقتل البرد اولادي
ومن عامل الشعور بفقدان الجنسية القومية ، كان الصغار الذاتي ومن ذلك قول نعيمه :

اخي من نحن لا وطن ولا اهل ولا جار
اذا نمنا اذا قمنا ودانا الحزبي والعار

وبما قاله القروي مشيراً الى تعبير الاجانب :

انت من انت ايها الراكب التميل والعجب بين عطفه راكب
انت « تركو » ولو وطئت الثريا واقمت السها ببابك حاجب
جاء في مجلة السمر قولها : « فنحن المهاجرين لما جئنا الى هذه »^(١)
البلاد وقيل عنا اترك ، قلنا للقوم اننا سوريون . لاننا كنا عالمين ان

(١) تسلت حديثاً مجموعة من القصص القصيرة بعنوان « افاصيص » من وضع الاديب جورج معلوف من ادباء البرازيل وهي على شيء كثير من الروعة .
(٢) السمر ت ٢ سنة ١٩٣٢

سمعة الاتراك في ذلك العهد مذمومة ، فلما سألونا اين موقع سوريا في الارض ، نقلناها كلها الى اورشليم . وقلنا لهم نحن ابناء عم المسيح . والارض المقدسة بلادنا .

واما العوامل الباقية في اصطباغ الادب الميجري بصبغة التشاؤم ، فلا تحتاج الى الشاهد والدليل . فان المرء ولا سيما اذا كان من اصحاب الاحساس المرفف ، لا بد له من ان يشارك الناس في الآمهم . خصوصاً اذا بات هو نفسه هدفاً للحوادث . على حد قول المتنبي :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

وبعد فأنني ارجو مخلصا ان يكون القارىء مستعدا لتفهم تأملات شعراءنا الميجريين تفهماً حقيقياً غير سطحي . بحيث يذهب مع الشاعر باحثاً متفحصاً مظاهر هذا الكون العجيب لعله متوصل الى معرفة تلك القوى الروحية الكامنة وراء هذه المظاهر جميعها . هذا وربما كان ابوماضي



(ايليا ابو ماضي)

أكثر شعراء المهجر انصرفا الى التأمل : وهو في تأملاته هذه يستوحى
على الترجيع المعرّي وعمر الحثام وجبران . قال :

جئت لا اعلم من اين ولكني اتيت
ولقد ابصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقي ماشيا ان شئت هذا ام ابنت
كيف جئت كيف ابصرت طريقي لست ادري
الى قوله : قد سالت البحر يوما هل انا يا بحر منك
هل صحيح ما رولاه بعضهم عني ^(١) وعنك
ام ترى ما زعموا زورا وبهتانا وافكا
ضحكت امواجه مني وقالت لست ادري

.....

إن في صدري يا بحر لاسرار عجابا
نزل الستر عليها وانا كنت الحجابا
ولذا ازداد بعداً كلما ازددت اقترابا
واراني كلما اوشكت ادري لست ادري

على ان الشاعر يعود فيعنف نفسه على استسلامها . شأنه في معظم
مواقفه . فهو يطلب اليها ان تفيد من حاضرها وتغنم من ملذاتها قبل
ان يسدل عليها الستار الاخير . وهو حينذاك متفائل يريد ان يتمتع
بالصبح ما دام فيه . فيقول مخاطبا نفسه :

مسخت في عيني لون النهار لما لحت الليل بالمرصد
ومات في اذني لحن الهزار لما سبقت الصمت للمنشد
فررت باللذات قبل الفرار فضاع يومي حائرا في غدي
وبما جاء في قصيدة له ، موضوعها فلسفة الحياة قوله :
ايها ذا الشاكي وما بك داء كيف تغدو اذا غدوت عليلا

(١) اشارة الى نظرية دارون في التطور

ان شر الجناة في الارض نفس تتوقى قبل الرحيل الرحىلا
وترى الشوك في الورود وتعمى ان ترى فوقها الندى اكليل
والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً
واذا ، فالمتفائل من شعراء المهجر هو الذي يستطيع ان يرى الحياة في
مظهرها المتلازمين ، كما يراها الشاعر في الورد ، شوكه وازاهره .
والمتفائل هو الذي يتمتع بالصبح ما دام هنالك صبح للاستمتاع . بيد
ان هذا المذهب هو في حد ذاته ضرب من التشاؤم ، ولكن الشاعر يبقى
حريصاً على تفهم دنياه والتمتع بما قدمته ، طالما هو في قيد الحياة ! فالدنيا
هي مطلب الناس مذ كانوا . ولكنها كما يقول المتنبي لا تصل :
ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل الى الوصال
هذا وزملاء ابي ماضي لا يختلفون عنه . قال القروي من قصيدة
موضوعها الربيع الاخير :

لمياء هذا ^(١) جبين الفجر قد سفرا وموسم الحب عنا مز مع سفرا
واضيع الناس من يمضي الشباب ولا يقضي من الحب في ايامه وطرا
طيري نقر مع الاسراب في فرص ان طرن لن تجدي حبا ولا ثرا
غداً نذوب الى الاعناب من ظمأ ونهبط الكرم لا نلقى لها اثرا
على ان شعر القروي ليس من الشعر التأملّي البحت . بل هو اشبه
شيء بغزل القدامى التقليدي . فهو شاعر كثير الاستطراد ، واكثر ما
يستطرد الى الناحية القومية . فاذا حدث في الفلسفة ، انتقل منها الى
الوطنية واذا حدث في الدين انتقل منه الى الوطنية ، واذا حدث في
الحب انتقل منه الى الوطنية . اليك كيف يختم قصيدته هذه

قل للذي تاه بالاسطول مفتخرا البغي لؤم فته بالعدل مفتخرا
فكأنني به من اولئك الرسل الذين يعتقون فكرة ما ، او رسالة ما

ويذهبون بها مذاهب الاندفاع والهوس . فلا ينفك يحدث فيها حتى يملكك على الضجر منها او التمسك بها شأن الذين اعتنقوا المذاهب الروحية في الامس ، والذين يعتنقون المبادئ السياسية في هذه الايام ! وبما لا شك فيه انه شديد الاخلاص لوطنيته ولبنى قومه بحيث يشع الاخلاص من وراء كل لفظة تجري على لسانه . وهو في نظري اخلاص شعراء العرب الى القومية العربية لا استثنى منهم احداً . واره يلتقي مع الريحاني في الكثير من ميوله ونزعاته المعتدلة منها والمتطرفة . بيد ان الريحاني يبقى في طليعة رسل النهضة العربية .

ولفرحات من الشعر التأملى شيء غير يسير . ولعل افضل قطعة له في هذا الباب قوله مخاطباً ابنته البكر :



(الياس فرحات)

ابنيتي^(١) يا نجمة الانس في اي برج كنت في الامس

إن* تكشفني عن مصدر النفس

صيرتني رجلاً لا يهرب إلا جلاً وبعثت بي أملاً
أنواره بين الضلوع خبت* فاهتزت الأفكار واضطربت*
أن الثلاثين التي ذهبت*
ذهبت* بذاكرتي ولم تعدِ واضنها ذهبت بمعتقدتي
• • •

الى قوله :

هذي الرياض منابت الزهر تلك البحار مصادر الدر*
ذاك الفضاء نجومه تجري

بالله يا بنتي من أيها أنت في أيها كنت
لا تحزني لأبيك أنت جهلاً خلي البكاء وحالفي الجذلاً
ما أنت من هذا التراب ولا

تلك المياه وذلك الجلد بل أنت من روعي ومن جسدي
وكانني بالشاعر قد اطمأن* الى هذه النتيجة من المنطق الشكلي، فراح
يعزّي نفسه بالبقاء عن طريق التناسل والتوالد، شأن الفلاسفة الدهريين.
وقال (١) جبران متسائلاً في كثير من الياس والقنوط :

ليت شعري هل لما مرّ رجوع* أو معاد لحبيب واليف
هل لنفسي يقظة بعد الهجوع* لتبريني وجه ماضي الخيف*
هل يعني ايلول انغام الربيع* وعلى اذنيه اوراق الحريف*
لا فلا بعث لقلبي أو نشور* لا ولا يخضر عود* المحمل
ويد الحصاد لا تحيي الزهور* بعد أن تبوى مجد المنجل

وقال عريضه :

شربت كأساً امام نفسي وقلت يا نفس ما المرام

حياة شكٍّ وموت شكٍّ فلنغمر الشكَّ بالمدام
وهو في تشائه هنا، اشبه شيء بآبي نواس والحيتام وسواهما من رآوا
هذه الدنيا فانية، فعكفوا على الحجرة يحتسونها لعلها تذهب بما في قلوبهم
من هموم. على حد قول آبي ماضي.

لم يبق ما يسليك غير الكأس فاشرب ودع للناس ما للناس
الحس مجلبة الكآبة والاسى قم ننطلق من عالم الاحساس
ويقول عريضه في مكان آخر والتوجع ملء جنبه.

انا في الحضيض وانا مريض
افلا يد تمتد نحوي بالدوا وتبث في جسمي ملامسها القوى
وتقلني من هوّتي نحو الذرى فاسير مستنداً عليها في الورى
دربي بعيد وانا وحيد

الى قوله :

سرياشقي كفاك تشكو ما دهاك العل لا شاك من البلوى سواك
كم ذا تفتش عن مواسٍ او معين هيهات ان الناس مثلك اجمعين
وفي هذا القول شيء من تعزية الحنساء.

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
قلت ان ادب التأمل في الشعر المهجري مطبوع بطابع التشاؤم،
وهي حقيقة لا تدفع. فالتشاؤم طابع عام لهذا للادب. إلا انه يأتي على
درجات متفاوتة. فمنهم من غلبهم اليأس على امرهم او كاد، ومنهم من
استطاعوا ان يروا الحياة كما هي، كآبي ماضي وامثاله. فقد رأوا ان
الحياة الدنيا مركبة من عنصرين. سعادة وشقاء، نهار وليل، حلاوة
ومرارة. « دمة وابتسامة ». وهي الفلسفة الثنائية التي يصطبغ بها
الادب المهجري بصورة عامة. فلسفة، اقل ما يقال فيها انها ايسر الطرق

للتهرب من مسؤولية التفكير العميق والتأمل المجهد ، على حد قول المتنبي :

ومن تفكر في الدنيا ومهيجته اقامه الفكر بين العجز والتعب
وعليه فمن السهل ان ينحلّ التراب في التراب وتطير الروح الى
عالمها الذي هبطت منه . كما في تعاليم الفيلسوف اليوناني افلاطون وغيره
من فلاسفة الهند القدامى وأنبيائهم ، من امثال بوذا .
قال نعيمه :

غدا اعيد بقايا الطين للطين واطلق الروح من سجن التخامين
واترك الموت للموتى^(١) ومن ولدوا والخير والشر للدنيا وللدين
والبس العري درعا لا تحطمه ايدي الملائك او ايدي الشياطين
فلا تروغني نار الجحيم ولا مجالس الحور في الفردوس تغريني
ومن الشعراء الذين يغلب التشاؤم على تأملاتهم ، فوزي المعلوف
واخوه شفيق ، وامين مشرق . ورشيد ايوب :

قال فوزي وفي نفسه شيء من نعمة ابي العلاء المعري ،
ينظر الناس يكثررون على الارض فيبكي لانهم يكثرونا
يتمنى نقض الزواج من الناس فلا يحبسون او يلدونا
الى قوله -

لا تكوني اصل البلاء لذاك الطفل يا ام وارحميه جنينا
انت ادرى بحسرة العيش اذ لاقيت من شقوة الحياة فنونا
ألمّ كلها الحياة فلا تضحك ثغرا الا لتبكي عيونا
والبيت الاخير يكاد يكون بيت المعري القائل .
تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد

(١) من اقوال المسيح الماثورة : دعوا الموتى يدفنون وموتهم .

وبما قاله شفيق المعلوم :

اعينك يا قلب من خفقات تغالب حتفك في جانبك
لقد نهك الدهر منك القوى واظلم هذا الوجود لديك
الهي سألتك تدمير هذا الوجود وتحطيمه بيديك
سألتك خنق الشرور فهلا خنقت الشرور على قدميك
سألتك رفقا بمن جبلتهم يداك وما تم نكر عليك
الست ترى في الحياة جموعا تقرح اعمالهم ناظريك
فانس الوجود وخذهم اليك والا فيا رب خذني اليك
وقال امين مشرق من قصيدة موضوعها الكمنجة وهي من أروع شعره.



(امين مشرق)

يا ابنة الالحان ما انت سوى صوت روحي وصدى قلبي الطموح
في فؤادي الف « رست ونوى » وكنجيات واعواد تنوح
كلما لامست صدري فشجيّ اللحن يجري

منه في صدرك امواج كبحر
لا تخافي انا اعطيك الصدى
هوذا قلبي يضحي ابدًا
رددني منه الانبثا
واهزني بالقلب ماذا تهبينا
وبما قاله رشيد ايوب :

ان انس^(١) لم انس روضا قد مررت به
والريح
وقد تغنت على غصن يمد بها
حتى اذا سكنت طاراً لعشها
فقلت ما احسن الدنيا اذا عدت
وعدت يوماً الى الروض النضير عسى
رايت ريشا على الاغصان منتشرا
فقلت والنفس ذابت من كآبتها
الله الله من دنيا اذا ظلمت
وقال : الهي اعرتني والليل داج
وارسلت الرياح الموج تتوى
وقال ندره حداد :

تهيشي^(٢) للرحيل
لكل عهد جميل
مضت شهور الحرام
ما للصفاء من دوام
عن سيفك الراحل
خريفه الذابل
مذ مرّ بي آب
والدهر دولاب

(١) السميع ج ١ سنة ٤ ص ٤١

(٢) مجلة السائح عدد ممتاز لسنة ١٩٢٧ ص ٤٩

وقال ميشال المعلوف :

يا سحبا^(١) راکضة في الفضاء مجدة في السير نحو المغيب
ناشدتك الله ترى للفناء ذاهبة ام للرجوع القريب
ما الطف الظل الذي تنشرين

اوآه لو انه باق ولكنه سار مع السائرين

وقال الشاعر المدني قيصر الحوري :

يانا^(٢) من قبل ان يسهدا ومائتا من قبل ان يولدا
لو ان هذا الموت من ارضا وافاك حلنا دونه بالفدى
لكنه وافاك من عالم قد اعجز اللب وشل اليدا
ومن الشعر اليائس قول شكر الله اجر من قصيدة موضوعها الخيرة :

قلق القلب معذب ليس يدري أين يذهب
ضاق صدر الكون عنه حين صدر القبر ارحب
قد جفاه الصحب والاحباب حتى الام والاب
كيف لا يطلب بعد اليأس عطف المقبرة

هذا ، وحسب القاريء من الشواهد ما تقدم . ولعل المهجريين
معذورون في ذلك لاسباب ذكرناها سابقا ، ولكن لا يسعنا الا ان
نأسف لذهاب بعضهم في التشاؤم كل مذهب ، ودعوتهم للتخلص من هذا
الوجود بعدم التوالد والتناسل ، الشيء الذي دعا اليه ابو العلاء قديما . كما
دعا اليه ابو العتاهية ، وان كان في اسلوب آخر حيث يقول :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يسير الى تباب

ولعل ابا ماضي مصيب في انتقاده اللاذع لشعراء البؤس وان كان
ادبه لا يخلو من ذلك . ولكنه يبقى بالنسبة الى سواه شاعرا متفائلا

(١) مجلة العصبة عدد ١١ و ١٢ سنة اولى ص ١٠٠٣ (هو مؤسس العصبة)

(٢) الشرق ص ٤ عام ٦ عدد ١٣ (هو شقيق القروي)

يريد ان يرى الحياة باسمة ضاحكة ، او يريد ان يرى النواحي البيضاء
من الحياة ، على حد قول الامريكي (See the bright side of things.)
حيث يقول :

عش للجمال تراه العين مؤتلقا في أنجم الليل او زهر البسانين
عش للجمال تراه ههنا وهنا وعش له وهو سر جدم مكنون
خيرٌ وافضل ممن لا حنين لهم الى الجمال ، ثنائيل من الطين

بيد أن الاديب الذي لم يبك في ادبه ، نثره وشعره ، من أدباء المهجر
انما هو امين الريحاني . فهو من هذه الناحية جبار قاهر ، بالرغم من ان
الالم لازم يده بحيث كانت شبه مشلولة الى آخر ساعة من حياته .
وكتابه « انتم الشعراء » ما يزال في نظري افضل ما يهدي الى الشاعر الناشئ
والاديب الحائر ، لما فيه من توجيه مثالي صحيح . توجيه يقول :
الفن للحياة والحياة لنا .

قلت إن التأمل من ابز خصائص الشعر المهجري ، واضيف قائلا :
إن في هذا التأمل ظاهرة تستلزم التأمل ، ودراسة تستدعي الدراسة .
فالتأمل هو اوسع ابواب هذا الشعر وأوفر موضوعاته حظاً من عناية
الشعراء المعنيين بنتائجهم الأدبي والفني . واكثر ما يتجلى ذلك في « المناشد »^(١)
الطويلة . في تلك القصائد التي تجمع بين حوار المسرحية وبطولة الملاحم
وتصوير الشعر الغنائي . ومن هذا النوع قصيدتا « على بساط الريح »
« وعبر » للأخوين فوزي وشفيق المعلوف . وهما في نظري من نوع
واحد من حيث الاسلوب والتصميم الفني وإن اختلفتا قليلا . والقصص
فيها اكثر ما يعتمد الوصف والتصوير . بالاضافة الى ما فيها من رسالة

(١) اطلقت على هذا النوع من القصائد ، كلمة « منشدة » وجمعا « مناشد » كما
نقول : ملحمة ملاحم . ذلك لانها تجمع بين فعلي نشد وانشد . الاول بمعنى طلب ،
والثاني بمعنى غنى . فهي قصائد ذات طلب او هدف وهي غنائية في الوقت ذاته .

انسانية مصبوغة بلون الألم القاتم في اغلب الاحيان . قال فوزي في
المقطع الاول يصف عالمه الاثيري السحري وقد اجاد وابدع :

في عباب الفضاء فوق غيومه فوق نسره ونجمته
حيث بثّ الهوى بثغر نسيمه كل عطره ورقته

. . . .

موطن الشاعر المخلق منذ البدء بروحه لا بجسمه
انزاته فيه عروس قوافيه بعيداً عن الوجود وظلمه
فلك قبة السماء له قصر وقلب الأثير مسرح حكمه



(فوزي الملوّف)

ضارب في الفضاء موكبه النور وأتباعه عرائس حلمه
ملكه ركنه الهواء وما أقواه ركناً قام الخلود بدعمه

عرشه سدّة السحاب عليها نفض الليل كل رهبة رسمه
تاجه هالة ينّضد في فضتها الافق بدره قرب نجمه
والدجى طيلسانه فاح كافور دراريه فوق عنبر فحمه
والثريا في كفه صولجان دّره لمته الفضاء بكّمه
ملك طائر بغير جناحين بأمر الخيال يقضي وباسمه
يا جناح الخيال اقوى جناح انت يُلوى ظهر الرياح لصدمه
ليت شعري ما الشاعر ابن لهذي الارض إلا بلحمه وبعضمه
فاذا اختار هجرها برضاه أمّا جاءها مقوداً برغمه
هو منها وليس منها فما زال غريباً ما بين أبناء أمه

وهو في المقطع الرابع من « ملحمة » هذه يأخذ في وصف جواده
المجنح ، فاذا الشاعر رسام صناع وفنان ساحر . يغمس ريشته في الوان
الاصيل . فيما تركت الشمس فوق الافق اللازوردي من ذوب متلون
ليوسم عالمه السحري ، عالم الشعراء والانبياء . وقد اتخذله من الفضاء
الواسع لوحة مشرقة . وانه لفي جلوة الخلق والابداع ، اذ به يذكر
« بساط ^(١) الريح » في خلقه الاول . عندما كان حلماً خيالياً . فيرى
نفسه محمولاً على اجنحة ذلك الحلم الذهبي الذي ما لبث العلم ان حوّه الى
حقيقة ازلية . بعد ان خلع العقل عليه جناحاً من فولاذ .

ما هما من خرافة وخيال بل هما من حقيقة وهيولى
صعد الطرف في الاثير تجدني قاطعا في الاثير ميلا فميلا
خبياً تارة وطوراً وثيداً صعدا مرة واخرى نزولا
فوق طيارة على صهوات الريح راحت تروّض المستحيلا
هي طير من الجماد كأن الجن في صدرها تحثّ خيولا

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة على اثر رحلة في الطيارة ، ذكرته بدنيا اجداده في
بساط الريح بعد ان أدنته من عالم الشعراء او كادت.

حمّمت تضرب الرياح بنعلها وشقّت الى السماء سبيلا
 ثم مدّت الى النجوم جناحين وجرّت على السحاب ذيولا
 غرقت في الاصيل حيناً وعامت بعد حين تعلو قليلا قليلا
 ترتدي من دخانها برودة الليل وتلقي عن منكبيها الاصيلا
 وعليها من الشرار نجوم عقدت حول رأسها اكليلا

فما ارق واعذب ما ينقل اليك الشاعر، فيما يغمره من بحران موسيقي
 وما يحف به من غمرات النغم، في جرس الالفاظ وتراجع القافية اللامية
 التي احسها في قلبي وانذرقها في روحي نغماً كوثرياً منساباً . أكاد ارى
 فيه روح الشاعر في زورق بنفسجي ، وأسمع مجذافه يحدث مع الماء
 « لالاً وليلاً » . وعندي ان المقطع الثالث اولى مقاطع القصيدة بمسك
 الحتام . ولو عاد لي الامر لجعلته الخاتمة . اذ فيه خلاصة ما يريد الشاعر
 قوله . وان شئت فهو فلسفة الشاعر في الحياة ، فلسفة الرجل الذي يرى
 الحياة عبوديةً والموت حرية وانطلاقاً . وما العبودية سوى هذه الخطوات
 التي يمشيها مثقلاً بسلاسل المادة من المهد الى اللحد .

بين روحي وبين جسمي الاسير كان بعدد ، ذقت مرّة
 انا في الارض وهي فوق الاثير انا عبد ، وهي حرّة

• • • • •

انا عبد الحياة والموت أمشي مكرباً من مهودها لقبوره
 عبد ما ضمت الشرائع من جور ينخط القوي كل سطوره
 بيراع دم الضعيف له حبر ونوح المظلوم صوت صريره
 انا عبد القضاء ، تملأ نفسي رهبة من بشيره ونذيره
 عبد عصر من التمدن نلهو ضلّة عن لبابه بقشوره
 عبد مالي ، احظى به بعد جهد فاذا بي أنوء من ثقل نيره

عبد اسمي ذوبت روحي وجسمي طمعاً في خلوده ونشوره
عبد حي ، أنزلته في فؤادي فكوى اضلعي بنار سعيره
انا في قبضة العبودية العمياء أعمى مستير بغروره ...
ان جسمي عبدٌ لعقلي وعقلي عبد قلبي والقلب عبد شعوره
وشعوري عبدٌ لحسي وحسي هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي في الكون أعمى ومنقاد على رغبه لأعمى نظيره
غير روحي فالشعر فكجناحيها فطارت في الجو فوق نسوره
تنتحي عالم الخلود ، لتحيا حرة بين روضه وغديره

وكأنني بشفيق يؤخذ بأسلوب أخيه الشعري ويعجب بما في شعره من صور، وما في الفاظه من عذوبة موسيقية ، وقد دفعه هذا الإعجاب الى السير على غراره ، والاخذ بنظريته في الحياة . فجاءت « عبقر » قريبة من نسج « على بساط الريح » وفي رسالتها الشيء الكثير مما في تلك . وهي كما ذكرت أكثر ما تعتمد على الناحية التصويرية . والتصوير في نظر صاحب عبقر او بالاحرى الاجادة فيه من ادل الامور على عبقرية الشاعر . وقبل ان نجى الى شفيق في « عبقره » يحسن بنا ان نقف على رأي الدكتور فايز عون ، على خلاصة رأيه في ادب فوزي المعلوف ، بالنسبة الى تلك الدراسة التي قام بها . فوضع اطروحة أدبية في ادب الشاعر المشار اليه رفعها الى أساتذة الادب في باريس حيث كان يدرس . وذلك لنيل شهادة دكتوراه ، في الآداب . ولرأيه من هذه الناحية وزن وقيمة . قال الاستاذ عون —

« أن يكون فوزي ^(١) عبقرى ، ذلك ما لا نستطيع البت فيه . وانما مكانته الادبية تتوقف في نظرنا على ما اعطى للشعر العربي من عناصر جديدة

من ذلك الموسيقى واللين وجمال التعبير، وقد اخذ بعض الشعراء يتلمذون عليه . كأخيه شفيق في عبقر وعمر أبي ريشة وحسن كامل الصيرفي . وفوزي يمزج في نفسه الثقافتين العربية والغربية ويخرج منها نتاجاً جديداً خاصاً . وهو رأي وجيه يستحق من اجله الدكتور عون كل ثناء . بل هو قول يصح في معظم ادباء المهجر وشعرائه .

قال شفيق في مطلع عبقر :

صاح هي اليقظة دبّت على	جفني فاستلانت الموطأ
ومن تمكّن حالته حالي	لم يستعص بالسيء الاسواء
ما الفرق في نومي وفي يقظتي	وكل ما في يقظاتي رؤى

ومن ثم ينتقل بك الشاعر الى عبقره ، فيصور كل ما يشاهد فيها من اشياء . فاذا هي عالم مستقل في ساكنيه من شياطين وجن ، وأرواح جهنمية لها اشكالها الخفيفة ، وسجنها المرعبة . فاذا عبقر كما يقول الاديب موسى ^(١) « كرم » دنيا باكية هازئة مدممة ساخرة بالانسانية قاذفة بالحلم . ولكنه قبل ان يشرع في وصف دنياه هذه يرى من الواجب عليه ان يصف مطيته اليها . وما مطيته سوى شيطان جهنمي يقبض على النار المتقدة في فكته ، فاذا الشرر يتطاير من فمه . اليك المقطع كاملاً وحبذا لو حذف البيتين الاخيرين منه ، اذ كثيراً ما يذهب التفصيل بروعة الوثبات الشعرية المجنحة الحاطقة .

على الربى استلقى شعاع الضحى	يعبث فيه الارج العاطر
فعانق الزهر وضمتهما	غمامة علقها الناظر
غمامة بينا اراها اذا	شيطان شعري تحتها سائر
كأنه لما بدا خفية	قذفه من الثرى ساحر

(١) صاحب مجلة الشرق التي تصدر في سانبولو - البرازيل . زار سوريا ولبنان

في فمه من سقر قطعة منها يطير الشرر النائر
 ووجهه جمجمة راعي أنيابها والمهجر الغائر



(شفيق المفلوف)

كأنما محجرتها كوة يطل منها الزمن الغابر
 أقبل نحوي قائلاً انني طوعٌ لما يقضي به الأمر
 أتيت والليل طوى ذيله فعم صباحاً أيها الشاعر

وبعد ان يطوف الشاعر في عبقره قليلاً، يلتفت فيرى هناك كاهنين
 من أشهر كهّان العرب في عالم الاساطير والروايات . فيصورهما على
 ضوء الاساطير السالفة تصويراً رائعاً ، وحسب الشعر المهجري تجديداً
 ان يعنى في أحياء القصص القديم . لا فرق كان القصص من قبيل الاسطورة
 او كان من قبيل الواقع . وهو فضل لشفيق لا يدفع .

وهكذا ينتقل بك الشاعر من الحديث عن شيطانه ، الى حديث
 الشيطان ، الى البلد المرصود ، الى عرافة عبقر وحديثها ، الى اميرة الجن
 الى الشهوة . الى اغنية الجنية ، الى الكاهنين شق وسطيح ، الى حديثيها

الى غابة الحور ، الى ثورة في الجحيم ، الى نشيد البغايا ، الى حدود عبقر
ورفات العبقرين ، الى همس الجماجم . وما ادراك ما همس الجماجم ؟ لا
شيء سوى المرارة والالم في دنيا نعيمها شقاء ، وملذاتها هباء .

فقلت للارواح والرمم البالية
ابن الوجوه الصباح والبسمة الزاهية ؟

واذا الجواب -

احلامنا نحن ، فقل للآلى

شادوا لنا الانصاب اكبارا

احلامنا كن لطافاً فلا

تصيروا الاحلام احجارا

هذه هي عبقر الشاعر وهي قطعة رائعة من الشعر، بما فيها من الوان
وظلال ، وما فيها من نغم وهمس ، وما يختلج فيها من شك ويقين .
ولعلها كما يقول فيها الاديب الكبير خليل تقي الدين « قطعة ^(١) الفن
الحالد لانها جمعت عناصر الفن والجمال كلها . فدفعت بشفيق معلوف فجأة
الى مرتبة الشعراء الحالدين » . على انها تبقى في نظري دون قصيدة اخيه
فوزي عمقاً وتفكيراً . وربما ينقصها شيء من الوحدة المنطقية التي تلمسها
في قصيدة فوزي . ولعل شاعرنا معوض عما فاته من ابداع ^(٢) في
مستقبله الزاهر . وهو الذي ولد ليكون شاعراً واديباً ، في بيت عرف
بالادب والعلم وان الادب العربي ليفخر في دوحه بني معلوف هذه . كما
يفخر فيما نرى لبنان اليه قديماً وحديثاً من دوحات ادبية كعائلي البستاني
واليازجي وسواهما . وانه لمن دواعي الفخر ايضاً، ان يكون شفيق
اخاً لفوزي وأن يكون رياض الشاعر الناشئ اخاً لهما . وان يكون

(١) المكشوف ص ٣ عدد ٧١ السنة الثانية

(٢) لقد جاءت الطبعة الثانية لعبقر تحقق ما كنت أترقبه

هؤلاء الثلاثة ابناء الاديب الكبير عيسى اسكندر المعلوف . فيضم البيت الواحد اربعة من خيرة ادباء لبنان علماً وادباً . ولعلمهم مخولون . ولهم من الاخوال كل شاعر واديب . فمن اخوالهم قيصر بك المعلوف صاحب قصيدة « رلى عرب » وهو صاحب ديوان « تذكّار المهاجر » وله ملحمة شعرية موضوعها « جمال بلادي » نظمها في السنوات الاخيرة تحت سماء لبنان حيث يقيم الآن . ومن اخوالهم ميثال بك وجميل بك وشاهين بك المعلوف وجورج بك المعلوف وكلهم اديب شاعر . وهكذا تؤلف عائلة بني معلوف حلقة ذهبية في سلسلة الادب العربي .

هذا ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، رأيت من الخير ان انقل الى القاريء الكريم هذا الحديث الطريف عن مجلس من مجالس المهجر الادبية . وان شاء عن مجلس من مجالس بني المعلوف . لعل في الاستطراء احياناً ما ينفي عن النفس ضجرها ، ويذكّي فيها جذوة التيقظ قال الراوي :

« في اجتماع عائلي جرى في منزل صديقنا ^(١) الوجيه الفاضل جورج بك المعلوف سقط فنجان قهوة من يد عقيلته السيدة التهذيب والادب ايزابل عبود معلوف . ولما كان المجلس يضم كلا من الوجهاء والشعراء المتفوقين : شاهين بك المعلوف ، وميثال بك المعلوف ؛ والاستاذ شفيق المعلوف ، والمرحوم فوزي المعلوف . فقد أثار شيطان الشعر تلك القرائح الفياضة . فأنشد شاهين بك :

مثل الفنجان لما لامست	شفتاه شفتيها واستعر
فتلظت من لظاه يدها	وهو لو يدري بما يجني اعتذر
وضعته عند ذا من كفها	يتلوى قلقاً اني استقر
فارتى من وجده مستعطفاً	قدميها وهو يبكي فانكسر

وقال ميشال بك :

عاش يهاها ولكن في هواها يتكم
كلما أدته منها قبل الثغر وتم
دأبه التقبيل لا ينفك حتى يتحطم...

وقال شفيق :

ان هوى الفنجان لا تعجب وقد طفر الحزن على مبسمها
كل جزء طار من فنجانها هو ذكرى قبله من فمها

فنظر المرحوم فوزي الى الفنجان فاذا هو لم ينكسر فقال معارضا :

ما هوى الفنجان مختاراً ولو خيروه لم يفارق شفتيها
هي القته وذا حظ الذي يعتدي يوماً بتقبيل عليها
لا ولا حطمه اليأس فها هو يبكي شاكياً منها اليها
والذي أبقاه حياً سالماً امل العودة يوماً ليديها

وتألفت لجنة في الحاضرة من ثلاثة ادباء ، للحكم في أفضلية الأبيات ،
وعينت السيدة ايزابل جائزة ، هي ساعة ذهبية يحرزها المجيد منهم
فحكمت اللجنة للمرحوم فوزي ففاز بها . واذا ذاك ارتجل ميشال
بك معلوف :

يا ساعة ما انت اول ساعة ضيعتها من ذكريات حياتي
ما دمت ضيعت السنين فما انا بمحاسب دهرى على الساعات

اما وقد الممنا بشيء من قصيدي فوزي وشفيق المعلوف ، فقد وجب

علينا ان نلّم بسواهما من هذه « المناشد الكبرى »

وامامنا « مراحل الحياة » للشيخ سعيد اليازجي « وعلى طريق ارم »

لنسيب عريضه وكلتاها من لوت واحد هو القصص الذي يعنى
بتصوير ما يجول في النفس من آمال ورغبات ، وما يطرد فيها من قلق



(سعيد اليازجي)

روحي . وهذا اللون يكثر في
الادب المهجري . ومن هذا القبيل
« الحكاية الازلية » لايلى ابي ماضي
وكثير غيرها ، من قصائد التأملات
الحاملة . وسنعود اليها في حديث آخر .
قد يكون من الحرص ان نطلع على
بعض مقاطع من هذه القصائد الثلاث
لاصحابها اليازجي وعريضة وابى
ماضي . فلانخلو الامر من اختلاف في
السمت الادبي رسالة واخراجاً . وبما
جاء في قصيدة اليازجي ما يلي :

« سنطلع قريباً على العالم العربي ، بلمحة اطلق عليها اسم « مراحل الحياة »
ناسج برديتها ، الشاعر الكبير الشيخ سعيد اليازجي . وهي انما تتناول حياة
المرء في جميع المراحل ، طفلاً فحدثاً فيافعاً فشاباً فيكهاً . وقد نهج
ناظمها شأنه في جميع منظوماته نهجاً رائعاً ، تارة فلسفياً وطوراً إصلاحياً
فيما رآه جديراً بالدرس والتعليل والنقد . في تلك المراحل التي بينما
يجتازها سواد الناس كالاشجار الجرداء في صحار قاحلة ، يقطعها ذوو
المواهب ، فإذا بهم ارواح مثقلة بالشمر في جنات تجري من تحتها الانهار :

ترأى الغرام لعين الفتى	فخف اليه بوجه طليق
فلا السير يوهن أقدامه	ولا الليل يحجب عنه الطريق
إذا في ربيع الحياة فتاة	بوجه صبيح وقد رشيق
اطلّت عليه وفي ناظرها	لكل معاني الحياة بريق
تصبى ببث تباريح	بصوت شجي وقاب رقيق

وافضت اليه باحلامها فها ما بلج الغرام العميق
يطوق عنقا كجديد الغزال فطوراً يغيب وطوراً يفيق

ومنها :

إذا المرء جاوز سن الشباب وما زال يتبع طيش الشباب
فلا النقد يكبح اهواءه ولا النصح يهديه نهج الصواب
مصاب الجسوم قريب الشفاء ولكن في النفس هذا المصاب
فداء الجسوم وليد الزمان وداء النفوس وليد التراب
زهور الطبيعة عشن الحياة بنفس الطعام ونفس الشراب
فزهو يكون شهد الحياة وزهر تكون فيه الذباب

ومنها :

رأيت الغدير على مهله ^(١) يسير ويخطر في مشيته
شبيه الفضيلة في صمته ومثل التحنن في رقه
تجلس الصباح على مائه وغنى النسيم على ضفته
يصول عليه الزمان فيرغي ويطفو الوقار على رغوته
وما ان يثور لهوج الرياح يعود سريعاً الى هدأته
فكن في الحياة شبيه الغدير اذا الدهر راعك في محنته

وتجري القصيدة على هذا النحو اللطيف من اولها الى آخرها . وهي على شيء من الروعة الشعرية ورسالتها عالية بحيث تحمل القاريء على تمثيل الدور الطيب من ادوار الحياة ، ان يكن لا بد من التمثيل . أما الفكرة فلا تخرج عن كونها حكمة عادية ، مما لا تبخل بها الايام على من تقدمت به السن ، وشعر هذا الشاعر مطبوع بطابع رصين ، وله هذه الصبغة التعليمية ، فهو شاعر حكيم في اكثر منظوماته .

اما قصيدة ابي ماضي ، فتختلف عن قصيدة اليازجي في مواقف عدة ، وان تكن هي في حقيقتها صورة لمراحل الحياة ، غير انها صورة تتأرجح فيها ظلال الحياة بجميع ألوانها . قد تكون فكرتها الأساسية مبتذلة ، ولكنه في افراغها على هذا النحو من القالب المسرحي ، جعل منها شيئاً جديداً . وقد اجاد في تصوير بعض ما يجول في نفوس «شخصها» وهي لا تخلو من التشابه الرائعة والالوان المشرقة ، والشاعر يوطيء لقصيدته هذه ^(١) بالمقطع التالي :

كان زمان لم يزل كأننا	وحالة ما برحت باقية
ملّ بنو الانسان اطوارهم	وبرموا بالسقم والعافية
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا	لو انه كونهم ثانية
وبلغت اصواتهم عرشه	في ليلة مقمرة صافية
فقال إني فاعل ما اشتها	اعل فيه حكمة خافية
وشاهدوه هابطاً من عل	فاحتشدوا في السهل والرابية

وهنا يتقدم الفتى ليعرض شكاته على الله عز وجل ، واذا ذاك يزاح الستار عن المسرحية التالية :

قال الفتى يارب إن الصبا	مصدر احزاني والآمي
البيستنيه موقناً بعد ما	أبلاه اخوالي واعمامي
وصار في مذهبهم عصره	فترة زلاّت وآثام
فاختلفت حالي وحالاتهم	كأنني في غير اقوامي
وصرت كالجدول في فدغد	او شاعر ما بين اصنام
دنياهم دنياي لكننا	أعلامهم ليست كاعلامي
عندهم الروضة اثمارها	والروض عندي الزهر النامي
فازرع نجوم الشيب في لمتي	فينجلي حندس اوهامي

فابصر الحكمة في ضوئه اني اليها جائع ظامي

وسرعان ما يتوارى هذا الفتى حتى يظهر الشيخ العاجز :

وجاء شيخ حائراً واجفأ	مشتعل اللمة بالي الالهـاب
كأنما زلزلة تحته	لمابه من رعشة واضطراب
فصاح يا رباه خذ حكمتي	واردد على عبدك عصر الشباب
ان امانى الروح ازهارها	وان روحي اليوم قفر يباب
صحوت من جهلي فابصرتني	كأنني سفينة في العباب
قليل لها في البحر كل المنى	فلم تجد في البحر الا الضباب
نأت عن الشط ولم تقترب	شبراً من السر الذي في الحجاب
ولو ترجي اوبة لاستفت	اكنما عز عليها الأياب
مرّ تقف الايام عن سيرها	فإنها تركض مثل السحاب
وضع امامي لا ورائي المنى	وطول الدرب وزد في الصعاب
ما لذتي بالماء اروي به	بل لذتي في العدو خلف السراب

ثم تطل الحسناء بوجهها المشرق وقلبها المظلم :

وقالت الحسناء يا خالقي	وهبتني الحسن فأشقيتني
وجهي سني مشرق إنما	مرعى عيون الخلق وجهي السني
وحظي منه حظ ورد الربى	من عطره الفواح والسوسن
ومثل حظ النجم من نوره	في الحنـدس المعتكر الادجن
للقائل الفـي، وللسامع	التغريد والزهرة للمجتني
كم ريبة دبـت الى مضجعي	وتهمة حامت على مسكني
ان الغنى في الوجه لي آفة	يا ليتني دميعة ليتني

وهنا تبرز على المسرح الجارية ، ويتلوها الفقير فالغني ،

وقال ذو الثروة ما اشتهي لا اشتهي اني ذو ثروة

انفقت ايامي على جمعها وخلتني ادركت امنيتي
 فاستعبدتني في زمان الصبا واوقرت بالهم شيخوختي
 قد ملكتني قبلما حزتها وملكنتني وهي في حوزتي
 كنجلة امسكها شهدها من الجناحين فلم تفلت

ثم يجيء الابله فاذا هو رجل ينطق بالحكمة. واهل الشاعر انطقه بها
 عملاً بالقول : « خذوا الحكمة من افواه المجانين . »

وصرخ الابله مستفسراً ما القصد من خلقي كذا ما المراد ؟
 ألم يكن يكمل هذا الوري الا اذا اوجدتني في فساد
 لي صورة الناس وحاجاتهم من مطعم او مشرب اورقاد
 لكن لي غير الباهم فانه مكنتف بالسواد

الى قوله :

ان كنت انساناً فلم ياترى لست بادراك كباقي العباد
 وبعد أن يدلي الاديب بشكائه يصدر الله حكمه الاخير استناداً الى
 ما سمع من بينات مختلفة ، وذلك في محكمة الحياة الكبرى ، حيث
 لا استئناف ولا تمييز .

لما وعى الله شكاي الوري قال لهم كونوا كما تشتهون
 فاستبشر الشيخ وسرّ الفتى والكاعب الحسناء والحيزبون
 لكنهم لما اضمحل الدجى لم يجدوا غير الذي كانا

ويرى الشاعر في حكم الله منتهى العدل فيقول :

هم حددوا القبح فكان الجمال وعرفوا الخير فكان الصلاح
 وليس من نقص ولا من كمال فالشوك في التحقيق مثل الاقحاح
 وذرة الرمل ككل الجبال وكالذي عز الذي هانا

وفي المقطع الاخير تتجلى صوفية ابي ماضي واضحة ، فاذا الكون

وحدة لا تتجزأ وإذا الله واحد في كل ما ينعكس من موجودات. وتمتاز قصيدة عريضه بما فيها من قلق روحي . وهي من حيث الاخراج البياني، تقتقر الى الكثير من الظلال والالوان المشرقة . ولكنها من ناحية ثانية غنية بالخيال الذي يخلع عليها شيئاً من ريشه . « وارم ذات العماد » مدينة عظيمة ذكرت في الكتب العربية التاريخية والدينية مراراً أما ارم التي يقصدها الشاعر هنا، فهي ارم الروحية الخيالية المحجوبة وراء صحراء النفس ، وعلى القاريء ان يمشي مع الشاعر ليقف معه على « الطلل الاخير » ثم فليتوغل معه في « القفر الاعظم » وليرافق « موكب القيروان » على طريق الجنون حيث تبدو له من بعيد « نار ارم » وهنا يخاطب نسيب عريضه قلبه بكثير من الاشفاق :

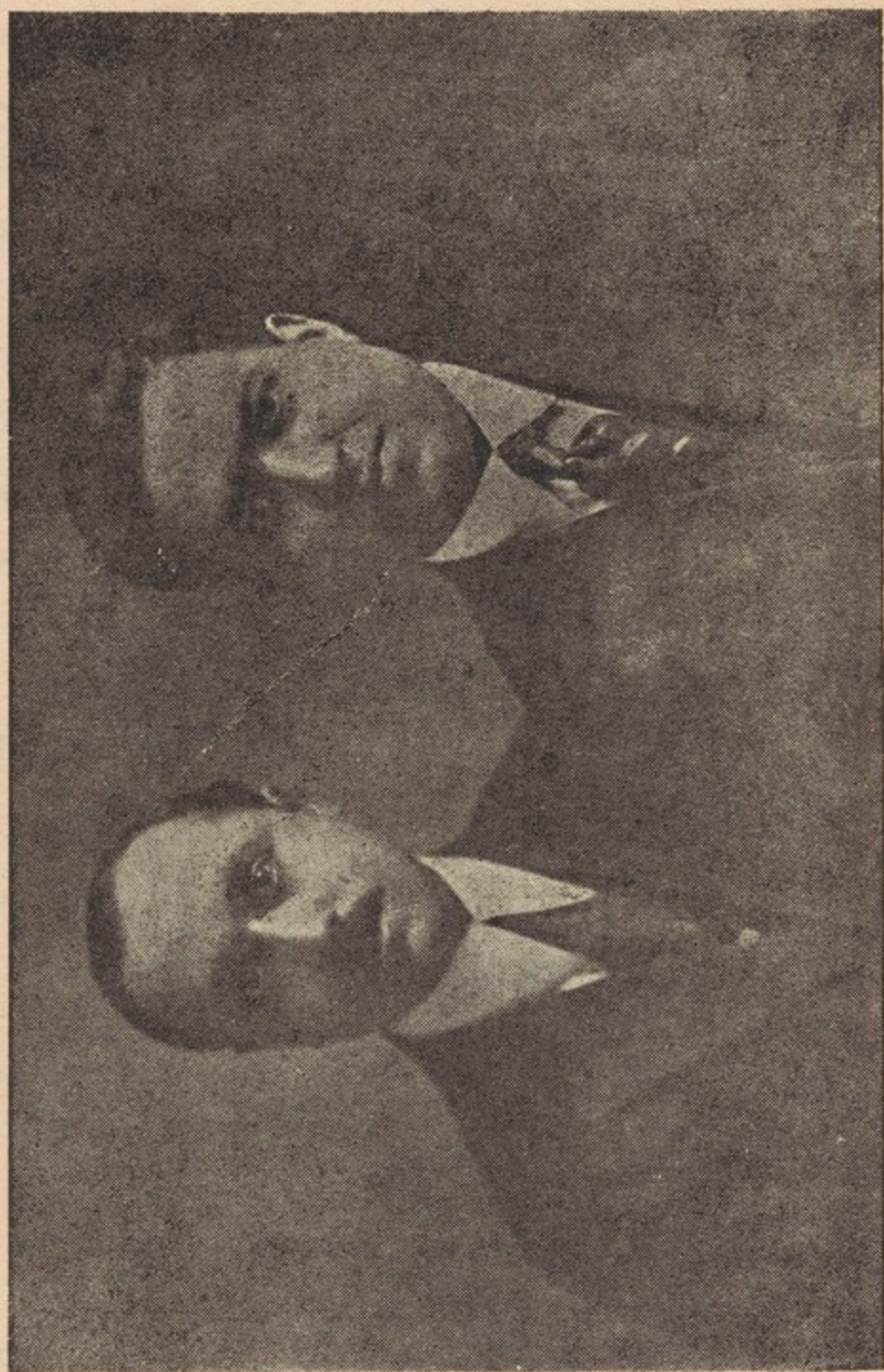
يا قلب يا طائراً صغيراً	مضطرباً في يد الحياه
يا ظامئاً والدماء تجري	منه ليروي بها سواه
تعال نختار لنا طريقاً	نقفو بها الحلم في سراه
تعال او تنقضي الليالي	فتنتني دون ان نراه

وفي المقطع الرابع :

نحرت ناقة وجدي	على ضريح غريب
فسال منها دمائي	وطار منها رجائي
وقلت للقبر هذا	قرى الاسى والوفاء
اجمع جياعك اني	مضيفهم في العشاء
فلم يلب ندائي	سوى الصدى في الفضاء
وسرت في القفر وحدي	وفوق ظهري صليبي

ولعل (١) اجل مشاهد هذه المسرحية مشهد القيروان .

على طريق الجنون بين المني والمنون



(نسيب عريضة وعبد المسيح حداد)

حيال وادي السكون	وقفت اجمع ركبي
قد كان في الركب قلبي	ومهجتي وهويا
والعقل حامي السرايا	والشوق زاجي المطايا
وفي الموادج حامي	ورغبتي والطوايا
بنات صدري وشعري	والذكريات الحظايا
يحدو لمن حنيني	خداء اعمى سجين
يرى بغير عيون	رؤيا تشوق وتصبي

ويختلف الظاعنون فيما بينهم من اجل القيادة العامة الى المحجة . ويقوم صراع عنيف بين العقل والقلب ، لا يلبث فيه الاول ان ينتصر على الثاني فتعقده الراية . ولكنه سرعان ما يضعف امام جيوش الشك التي احدثت به من كل جانب ، واذ ذاك يلوذ العقل بالفرار ، وهناك في وادي السكون يقف الشاعر ليجمع شتات الركب . واخيراً تسير النفس في طليعة القافلة ، وقافلته هذه تعكس الشيء الكثير من روحانية الشرق العربي وان شئت من روحانية الصحراء حيث تحبُّ القافلة على ترجيع الخداء . يلاحظ ان شعر عريضة بقي محافظاً على جو الصحاري وعلى التعابير البدوية بالرغم من وجوده في ظل ناطحات السحاب ، وبعده عن الواحة والقرى اليباب ، بما يدل على حنين عارم واخلاص لبلاده وبني قومه . وابن منه شعراؤنا هنا الذين يعيشون في الارياف اللبنانية والسورية النائية ولكنهم يعكسون فيما ينظمون اجواء باريس ونيويورك ولندن وموسكو .

فقال عقلي لماذا	تألثوث الضلولا
بئس الدليل انتخبتم	قلبا غويا عليلا
يسير نحو مغان	قد استحال طلولا
الى قوله: فجرد العقل سيفاً	من الصواب صريحا
فخر قلبي صريعاً	فوق الرمال ذبيحا

يا ويح قلب شقي
وسار بالركب عقلي
وراعنا في السكون
يقول لا تتركوني

الى قوله :

واطلق الشك جيداً
ففر عقلي جباناً
على طريق الجنون
حيال وادي السكون

الى قوله :

يا نفس رفقا ومهلا
طرحت كل رحالي
تعلي بسكون
حزني لماذا تغني
اما علمت بأني
فأصمت وسر في السكون
لعله بعد حين

وينتهي المقطع الاخير هكذا وليته اكتفى منه بالدور الاول .

تلك نار تشيق
كل طرف طليق
هل اليها طريق
غير درب اللحد
اذ تحل القيود

لح ولح في الفضاء
قد سمعت النداء
ودليلي الرجاء
فعساه يقود
ظامئاً للورود

وليس رجاؤه سوى رجاء الايمان ببقاء ربه والاستراحة من هموم الدنيا.

طالما اقض الموت مضاجع الناس . ولكن التفكير في الموت قبل ان
يجيء أوانه ، والتأمل في مصير المرء الاخير قبل ان يدركه المصير ، شيء
مستغرب في الادب المهجري ، على انني اعتبر ان للغربة القاسية وللبعد
عن الاهل والحمى ، يدأ في الامر . فقد كان هذا المغترب يتوق دائماً ويتمنى
دائماً ، لو يرى بلاده وذويه قبل الغربة الأخيرة ، قبل الموت . وكما ذكرت
سابقاً ، فقد استطاع بعض الشعراء المغتربين ان يتغلبوا على اليأس وإن هم
عالجوه باليأس ، وان ييسموا للحياة ولو الى حين . من ذلك قول
ابي ماضي :

كانت تمازحني وتضحك فانقضى	دور المزاح فضحكها تفكير
قالت وقد سلخ ابتسامتها الاسى	صدق الذي قال الحياة غرور
اكذا نموت وتنقضي احلامنا	في لحظة والى التراب نصير
وتموج ديدان الثرى في اكبد	كانت تموج بها المنى وتمور
وتوقفت ، فشعرت بعد حديثها	ان الوجود مشوه مبتور
الصيف ينفث حره من حولنا	وانا احس بانني مقرر
فأجبتها لتكون لديدان الثرى	اجسامنا ان الجسوم قشور
إنا سنبقى بعد ان يمضي الورى	ويزول هذا العالم المنظور
فاذا طوتنا الارض عن ازهارها	وخلا الدجى منا وفيه بدور
فسترجعين خيالة معطارة	انا في ذراها بلبل مسحور
يشدو لها ويطيروا في جنباتها	فتهش اذ يشدو وحين يطير

ثم لا يلبث ان يرى واقع الامر فيجزع ولا يجد في « الرجاء » ما
وجد فيه صاحبه عريضه من قبل ، فيقول :

حامت على روعي الشكوك كأنها وكأنهن فريسة وصقور
ولقد لجأت الى الرجاء فعقني اما الخيال فخائب مدحور

وهكذا سرعان ما يحمل صاحبه على الابتسام والتلهي عن الآلام حتى يقع هو صريع احزانه وآلامه . في حين ان عريضه يبقى معتصماً بجبل الايمان وبرحمة الله مهما قست عليه الايام .

اما احلام الراعي لصاحبها فرحات ، فلا تختلف عن مواكب جبران الا شكلاً . فهو يعيش واغنامه في قلب الغاب ومعه كلبه مغضروف ساعده الايمن وسميره في وحدته . وليست غابه هذه ، مما راى في اليقظة ، وعليه فهو غير مسؤول عما يرى في دنيا احلامه وامانيه .

اما الفكرة العامة فيها او بالاحرى رسالة الشاعر ، فرسالة غير جديدة وهي على شيء من التطرف ، شأن فرحات في معظم قصائده . والملحمة التي نحن في صدها ، هي قصيدة من ديوان له ، يعرف « باحلام الراعي » وقد اطلعت على بعض قصائد هذا الديوان المعد للطبع من خلال مجلة الشرق البرازيلية لصاحبها الاديب موسى كريم . وهذه « المنشدة » مثبتة بكاملها في مجلة الطليعة ^(١) الدمشقية . والى القاريء شيئاً منها :

اخرجت شائي الى المراعي	والفجر يحبو على السهول
والزهر واع وغير واع	والطير كالزهر في الذهول
عصاي تروي حديث موسى	كما تلقت من عصاه
تلميذة نالت الدروسا	من شبيخة السحر في ^(٢) حماه
ان لم تكن تبلع الافاعي	فليس ضعفاً ولا احتواس
رهط الثعابين والسباع	قد حطمت منه الف راس

الى قوله :

ملساء ممشوقة القوام	ما غيّر العمر من صباها
الارز اهلها الكرام	هذا اذا لم يكن اباه

(٢) لعلها اشارة الى البيت القائل :

فقد بطل السحر والساحر

(١) السنة الرابعة عدد ٥ ص ٣٧٩

اذا جاء موسى والقى العصا

لكنها لم تقع ببلوى والارز بلواه كالزمان
 وكل ارض بالذل تروى اشجارها تثمر الهوان
 يكاد هو والقروي ان يتفقا على اتهام اللبنانيين بالذل والخنوع
 للمستعمرين ، كما يشير في هذا المقطع الاخير ...
 وهو اتهام في غير محله . ان ظروف لبنان الخاصة لا تسمح لاهله بامتشاق
 السيف ، على ان اللبناني كان وما يزال بوق التحرر وحامل مشعل النهضة
 الحديثة ، سواء من الناحية السياسية او الفكرية او الادبية . ولعله يشير
 بذلك الى رضى بعض الفئات اللبنانية عن الاستعمار الفرنسي ان صح ذلك
 الزعم ، الى قوله :

عصاي ذات الاصل هزرتها كالنصل
 وصحت بالغضروف فجاء كالملهوف

وبعد ان يسهب في وصف كلبه غضروف ينتقل الى القول :

سرت امام الشاء في كفي العصا والشاء خلفي دور نظيمة
 وخلفها الغضروف ان رأس عصا طوعه بالوثبة الحكيمة
 سرت بها من ساحة المراح ابغى لها المرعى الحبيب الزاهي
 في بقعة باسقة الادواح وافرة الظلال والمياه

واخيراً ينتقل بك الى حديث اغنامه :

فاحتدمت غيظاً وقالت تدعي حمايتي يا ايها المرائي
 وانت لو عجلت يوم مصرعي سمعت في حشرجتي ثنائِي
 تههم الذئاب^(١) بالحملان وانت أضراها واسوا عملا
 يا ايها الجاني ويا ابن الجاني يا مثكلي في كل عام حملا
 الى قولها :

حتى متى يا ناس تعلموكم الادناس
 يا شر خلق الباري لاشتموا الضواري

(١) لعل هذا المقطع من وحي المعري

إنّ الضواري انتم
قلوبكم سوداء
تحفّق بالشروع
لا راضها التمدين
صلاتكم هباء
وربكم يهودي
وعندكم رهبان
وبينكم كتاب

والشر فيكم منكم
يعمل فيها الداء
من أقدم العصور
ولم يفدها الدين
ودينكم رياء ...
ذو نسب مردود
يا ليتهم ما كانوا
تفضلها الكلاب

فأنت ترى أيّ فرقٍ بينها وبين مواكب جبران من حيث
الخراج والكياسة !

ويختم قصيدته هذه بالمقطع التالي :

فآلمتني هذه الحقيقة
فصحت قد أجزمت يا زنديقة
وملت بالعصا على الشقية
فنطححتني نطحة قوية
من أخصي « طبت » إلى يافوخي
ولست في الغابة بل في الكوخ

واضطربت نفسي بنار الغضب
يا بنت ذي القرنين ذات الذنب
أثار الله وللإنسان
أطارت السبات عن أجفاني
لما بدا لي أنني في حلم
على فراش من جلود الغنم

أعود فأكرر القول بأن القصيدة ليس فيها شيء من الابتكار . وإن
وجد فيها شيء من التجديد ، فقد يكون هذا من قبيل القالب والاسلوب
وذلك في اختياره للقوافي المختلفة ، والأوزان الجامعة بين القصر والطول ،
مما يكون انغاما موسيقية مختلفة يجمع بينها النغم العام . بيد أنها قصيدة
غير موفقة ، على خلاف عاداته في الكثير من شعره . وهناك « ملحمة » ثانية كما
يسمونها صاحب مجلة العصبية^(١) من صنع الشاعر الياس قنصل ، هي ملحمة

« المسيح والعائثة » المشار اليها سابقاً . اود أن اشير اليها ، على غير ما وقوف على تفاصيلها ، ليس عن تقصير في واجب الاطلاع وانما لكونها غير تامة . وقد عثرت على الشيء القليل منها مبعثراً هنا وهناك . ولاحظت ان معظم الحوار فيها لا يخرج عن حد بطليها المذكورين . هنا يظهر المسيح فيها بطلاً من ابطال الروح ، ولعله خير بطل روحاني عرفه العالم ، وما صراعه سوى صراع الارواح المتسامية عن اتضاع ، والمتضعة عن كبر . وقد يكون في اتجاه الشاعر نحو تمجيد البطولة الروحية على هذا النحو ، شيء من التجديد المسرحي في عالمنا الادبي ، اعني عالم الشرق . فنحن كغيرنا من الناس نعلم ان اكثر ما تكون البطولة في الملاحم والمسرحيات ، مشبعة بفكرة الغلبة والغطرسة . ولكن النصر هنا إنما هو في صراع الارواح وغلبتها في معركة الخلود الفاصلة :

قالت العائثة :

أصبح أنني بتُّ كما أشهد حرّة
أمّ أنا مطلقة في الحلم ، واليقظة مرة
سيّد الرحمت عفوّاً
في ذهولي كل عذري
لست ادري كيف ابدي
لك إجلالي وشكري
في فؤادي كلمات
لا يؤديها اللسان
إنّ أكنّ عاجزة عنها
فدمعي توجمان
انت نجيت حياتي
من يد الموت الزؤام
وهي رهن بعد هذا
لك في أي مرام

المسيح :

انا لم أنقذ تراباً
إنما حطمت كأساً
كنت من عجزك فيهم
حاملاً أهواء أمسك
قرّ فيها صابُ نفسك
نعجةً بين ذئاب

ودفاعي عن كناس الضعف

سطر في كتابي

اين من البسك العار باثم لم يشنه
 انهم لم يلمسوه فهمو اجبن منه . . .
 فاذهبي عامرة النفس بآلاء الرجاء
 واجعلي شكرك تخفيف الأسى عن ذي الشقاء

وليكن قلبك منذ الآن كالزهر جميلا

وليكن حبك كالصبح نقيا ونبيلًا

هذا ، ولعل الشاعر سعيد عقل استوحى فكرة المسيح والمجدلية من هذه القصيدة. ومهما يكن من شأن هذه المناشد ، فإنها تمثل اتجاها جديدا في ادبنا العربي الذي ارجو له ان يسير في طريق الآداب العالمية الخالدة . وليس ذلك بعسير على قوم عرفوا بالخاطرة الممتعة والذهنية الشاعرة ، ولكن الادب موهبة ومراس . وهو بالتالي جهد متواصل ، وليس شيء اضر بالشاعر او الاديب ، من تعجل الامور واستباق الموسم الى الحصاد .

التحرور

اما الخاصية الثالثة التي يتسم بها الشعر المهجري فهي التحرر ، التحرر من كل قيد . من التحرر في اللفظ ، الى التحرر في القواعد ، الى التحرر في الوزن والقافية ، الى التحرر الفكري ، فالوطني ، فالانساني . والواقع ان التحرر ، بمعناه العام الشامل ، قد أصبح ميزة هذا العصر بكامله . وذلك نتيجة للثورات الروحية والفكرية والسياسية والاقتصادية ، التي نادى جميعها بتحرير الانسان ، أينما كان . من ثورة لوثر الاصلاحية ، الى ثورة فلتير وروسو وأمثالهما ، من الثورة الفرنسية ، الى الثورة

الصناعية ، الى الثورة الاشتراكية ، وسيدقى الانسان تأثراً على نفسه وعلى مجتمعه الى ما شاء الله ، يعثر حيناً وينهض حيناً آخر ، الى ان يأخذ الله بيده الى ما فيه راحته وسعادته .

وكان من جرّاء الحرية الفكرية في الغرب ، أن اخذ شعراء المهجر يقلّدون زملاءهم من الاجانب . فراح القروي مثلاً ، يقلّد نيتشه الفيلسوف الالماني في ثورته على المسيح وعلى تعاليمه التي تعلّم بحسب رايه ، الذل والخنوع . كذلك فعل جبران من قبل في مجازاة نيتشه ، ثم عاد فناهضه وازدراه . ولكنّ القروي جرفته القوافي في تيارها ، واستهواه تصفيق المنابر . وكأني به ما نظم الكثير من شعره الوطني الا وفي نفسه شوق لاعتلاء المنابر وتصفيق الناس . من ذلك قوله في سلطان باشا الاطرش يوم ثار على الفرنسيين .

فيا لك أطرشاً لما دعينا	لثأر كنت اسمعنا جميعاً
إذا حاولت دفع الضيم فاضرب	بسيف محمد واهجر يسوعاً
احبّوا بعضكم بعضاً وعظنا	بها ذئباً فلم تنج القطيعاً
فيا حملاً وديعاً لم يخلف	سواناً في الوري حملاً وديعاً
غضبت لذات طوق حين بيعت	ولم تغضب لشعبك حين بيعاً
ألا أنزلت انجيلاً جديداً	يعلمنا إباء لا خنوعاً ؟

فأين هو مثلاً من شوقي عندما يقول :

يا فاتح القدس خل السيف ناحيةً ليس الصليب حديداً كان بل خشباً
لو كنت تدري الى اين انتهت يده وكيف جاوز في سلطانه القطبا
علمت ان وراء الضعف مقدرةً وأنّ للحقّ لا للقوة الغلبا
اقول هذا ، وانا على يقين من ان القروي كان اشدّ اخلاصاً لرسالته ولعروبه من شوقي وربما من اي شاعر عربي آخر .

غير انّ القروي في قصيدته تلك ، قد اساء الى السيد المسيح كما اساء الى النبي العربي الكريم ، ذلك لانّ رسالتهما في جوهرها واحدة .

وإذا كان النبي محمد قد امتشق السيف ، فلم يكن عمله الاً من قبيل الدفاع عن النفس ، وبالتالي في سبيل الذود عن رسالته . لا اعتقد ان القروي يجهل حقيقة غضب المسيح . لقد آذاه ان يرى بيت الله مغارة للصوف ومتجراً للخنا والسلب ، كما تأذى النبي من رؤية بيت الله في مكة يحوّل لعبادة الاصنام وللنهب باسم الاصنام . ناهيك بما في عبادة الاصنام من كفر ظاهر وجاهلية عمياء .

إنني لا ارضى لشاعر كبير كالقروي ، لشاعر ثقيف حصيف ، أن يستدرجه المنبر الى ما يرضي عبّاد المنابر الحشبيّة . اجل من الضروري ان يعتبر الشاعر عن اماني عامة الناس وعن رغباتهم ، ولكنه من الضروري جداً أن يرفع العامة الى مستواه ، لا ان يتدنى الى مستواهم في التفكير او في التعبير . ألم يقل القروي على اثر غزوة موسيلني الحبشة : « إن يكن صاحب القداسة سفتاحاً فماذا تروم من غير صاحب »؟ بلى !

ليس في قوله هذا ما يدل على تطرف في القول تأباه النفوس ؟ فهل يجوز ان ينعت قداسة البابا بمثل ما يزعم ؟ عفوا : قد اكون اسأت اليك يا اخي الشاعر من حيث اقصد الاحسان . انني لا اشكّ قط في ان الشاعر القروي شاعر ذو رسالة إنسانية نبيلة ، ولعلّه اساء من حيث يقصد هو الاحسان ايضاً . وعلى كل ، فإن الانسان معرض دائماً للخطأ والصواب . وغاية ما اقوله ، هو انه لا شيء يضر بعافية الشعر اكثر من تصفيق العامة وبجاملة الخاصة وتهريج^(١) النقاد ! انا لا اطلب من قولي هذا ، ان افرض على الشاعر معتقداً دينياً او مذهباً روحياً ، فالناس احرار ، في ما يعبدون ويعتقدون ، ولكنني كرهت للقروي ولغيره ان يرضوا غير انفسهم وغير فنهم ، مهما بالغنا في القول ، بان الفن للحياة . ذلك لان من

(١) النقاد في نظري اثنان : محرّج و «مهرّج» . فالاول يبحث اول ما يبحث ، عن الحقيقة والجمال . والثاني يبحث دائماً عن ارضاء فريق من الناس على حساب الاخر وعن ارضاء ما في نفسه من صفار ذاتي وفشل مبطن .

طبيعة الحياة الحرة، السمو الى المرتفعات الروحية .

قلت إن ادباء المهجر متطرفون في بعض نزعاتهم التحررية، ولكنني اعود فاقول ، انهم في هذه النزعات لا يؤمنون كثيراً بالتحرر الذي يأتي من خارج النفس . فاذا كان لا بد من الثورة في سبيل الاستقلال ، فلتكن ثورة فكرية قبل كل شيء . ولعل الريحاني خير مفصح عما يختلج في صدورهم من هذا القبيل . وذلك في قوله « الثورة ^(١) الحقيقية، ونحن من انصارها ، من رسلها ، إنما هي التي يزرع الزمان بذورها في قلوب الناس وفي عقولهم . بل هي التي يشعل الله نورها في ارواح البشر . هي الثورة التي يتقدمها ري العراق مثلاً ، وسكة الحجاز ، وحرية الطباعة والتجارة والتعليم . هي التي تنمو في الجامعة نمواً هادئاً ثابتاً بطيئاً، كما ينمو النخيل في الرمال . هي التي تبتديء في البيت وفي المدارس وفي المعابد . »

وعليه فالتحرر الداخلي يبدأ عندهم في التخلص من التمسك بالطقوس الروحية البالية ، والتخلص من سلطان بعض رجال الدين ، الذين هم في نظرهم سبب الشقاء البشري والتفرقة بين الناس ، لا سيما في البلاد العربية حيث لا يزال التعصب يعمي عيون الاكثوية من البشر . واذا قالوا رجال الدين، فانما هم يعنون طغمة خاصة . فان بين رجال الدين فئة تستحق كل احترام واکرام ، على ان بينهم فئة لا تعرف من الدين سوى الطقوس والفلوس .

قال القروي :

وقل لمن ضلَّ سبيل الهدى وضاع فيهم كل نصيح سدى
يا وطني منك نفضت اليدا فمن يحاول عنك دفع الردى
حاول امرأ دونه المستحيل

غنيهم ينهم رزق الفقير كبيرهم يهضم حق الصغير
 زاهدهم بالفلس باع الضمير عاملهم يركض ركض الحمير
 والمال في جيب المرابي الكسول

اوطانهم وقف بايدي القسوس اديانهم محصورة في الطقوس
 نفوسهم يا ذلها من نفوس لهم جسوم ما عليها رؤوس
 لهم رؤوس ليس فيها عقول

وقال ندره حداد :

ودّ غيري الصلاة لله في الجامع او في كنيسة او كنيس
 واقفاً كالليغاة يتلو صلاة هي في السبت نفسها في الخميس
 ليس يدري معنى لما قد تلاه فهو يتلو والفكر في طرسوس



(ندره حداد)

راكعاً ناهضاً وراء امام ساجداً صامتاً امام قسوس
وودت الصلاة لله في الروض بعيداً عن كل هذي الطقوس
حيث لا اسمع المرائي يصلي عالياً يستغيث بالقدّيس
حيث لا واعظ يصيح وفيه من شرور ما ليس في ابليس
يعظ الناس في السلام وكم جرّ على الناس مثل^(١) حرب البسوس
ففي دعوته هذه تتجلى لك النعمة على الطقوس الدينية التي باعدت بين
العربي واخيه العربي ، وبالتالي بين الانسان واخيه الانسان . على اننا
وان اخذنا عليه بعض ما في قوله من تطرف ، لانرى بدا من مشاركته
في نعمته على ما تركت التقاليد فينا من إحن . لم يكن المسيحي الكاثوليكي في
فرنسا يصاول اخاه الانجيلي لمجرد خروجه على بعض الطقوس والتقاليد ؟
ثم عادا فاكشفنا ، ان الدين الحقيقي براء من كل ما أقترف باسمه من
جرائم ، وهو ما اكشفه ضرير المعرفة منذ زمن بعيد .
انني لا اعرف شاعراً عربياً كبيراً عاش بعد المعري لم يتأثر به في نزعته
الى التحرر من سلطان القشور الدينية التي حجبت عنا حقيقة الرسالة الروحية
التي بشر بها الانبياء والمصلحون . وما اصدق ما قاله الشاعر العراقي احمد
الصافي في هذه المناسبة :

سيتقق الوري في الدين يوماً اذا دانوا بتزكية الضمير
قشور الدين قد حجبت عنا فهل نسعى الى نزع القشور
والواقع ان المهجرين كانوا يفكرون في فصل الدين عن الدولة ،
اسوة بسائر الامم الاوروبية . وهي فكرة نادى بها ايضاً بعض
شعراء الوطن وادبائه .

وقد تكون هذه النزعة في « علمنة » الدولة جديدة ، في ادبنا الحديث ،
« سواء في المهجر او الوطن » ولعل شعراء العراق اسبق من سواهم في هذا

المضمار لا استثنى واحداً منهم خصوصاً جميل الزهاوي . ومما قاله
الريحاني « ان لم تباشر الحكومة في تدمير حصون الجهل ، يعود الجهل
فيدمر حصون (١) الحكومة . ولا يتم لها ذلك الا في تأسيس المدارس



(امين الريحاني)

العمومية الوطنية ، مجردة عن كل صبغة دينية . وما هذه ببدعة انادي
بها ، فان مكتب الصناعة في هذه المدينة أسس على هذه الطريقة الوطنية .

حبذا لو احيته الحكومة ، فيكون مثالا للمدارس العثمانية العمومية
الاجبارية. » فما رأيك به ، يصرح بمثل هذا الرأي ، في ايام الدولة العثمانية ؟
وهو في مكان آخر يقول ، « ان الثورة الفرنسية هي في حقيقتها
ابنة لثورة روحية سبقتها ، هي ثورة لوثر الاصلاحية الشهيرة . » وكيف
كان الحال ، فان المهجري مقتنع بان لا خير من حرية تعطى او تؤخذ ،
ان لم يسبقها حرية فكرية وتحرر روحي .
قال جبران :

« انا لبناني^(١) ولي فخر بذلك ، ولست بعثماني ولي فخر بذلك ايضاً ،
لي وطن اعتر بمحاسنه ولي امة اتباهى بما تيتها . وليس لي دولة انتمي اليها
واحتمي بها . انا مسيحي ولي فخر بذلك ، ولكنني اهوى النبي العربي
واقدر اسمه ، واحب مجد الاسلام واخشى زواله . » الى قوله :

« خذوها يا مسلمون كلمة من مسيحي اسكن يسوع في شطر من حشاشته
ومحماً في الشطر الاخر . ان لم يتغلب الاسلام على الدولة العثمانية فسوف
تتغلب أمم الافرنج على الاسلام . وان لم يقيم فيكم من ينصر الاسلام
على عدوه الداخلي فلا ينقضي هذا الجيل الا والشرق في قبضة ذوي
الوجوه البائخة والعيون الزرقاء . » ويعني بذلك الانكليز والفرنسيين ،
الاترى كيف ان نبوة جبران قد تحققت وهي التي قالها قبل ان يكون
عندنا استعمار فرنسي او انكليزي !

على ان الشيخ محمد عبده هو اول من نبّه المسلمين الى العدو الداخلي
في الخطيرة الاسلامية ، اعني الجهل والخرافة والاضاليل حيث يقول :
ولست ابالي ان يقال محمد أبلّ او اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت فلاحه مخافة ان تقضي عليه العهائم
ومن ادب التحرر الفكري ، قصيدة لفرحات يرد فيها على الشاعر

ناصر الدين ، لتشفيه بسقوط شاه العجم أمان الله عن عرشه ، عندما
اساء الى الدين ، على زعم الشاعر ، وذلك برفع حجاب المرأة ، غير ان
السلطان ما لبث ان عاد لملكه ظافراً ، وبما قاله :

هتكت حجاب المحصنات وقاحة فاغرم من لم تلقه قط مغرمًا
واهويت بالموسى على معظم اللحى كأن اللحى بما يعوق التقدم
امن سنن الاصلاح ان تحلق اللحى وتمنع هذا الشعب ان يتعما
فجاءت نقيضة فرحات تقول :

اذا ملك لم يدعم العلم ملكه فليس بمنع عنه أن يتعما
توهم ان الدين ارسال لحيه فأضحك رب الدين مما توهمها
هنيئاً لشعب ناهض اغضب اللحى على انه ارضى النبي المعظما
الى قوله .

لواء عن لباب الدين جهلا بقشره وافتوا بتقليم النهى كلها نما
وسدوا طريق الفكر عن كل مؤمن والقوا نسيجا فوق عينيه اقما
ثم يأخذ فرحات بادلاء الادلة والبراهين ، على افضلية السفور على
الحجاب ، محتجا بام المصريين صفة هانم حرم زغلول باشا ، على شرف
اخلاقها ، ونبيل محتدها ، وتمسكها بالفضيلة مع سفورها ، الى ما هنالك
من الادلة والشواهد . ثم يشير بعد ذلك الى ان الحجاب لا يمنع من الحيانة
كما ان «الثوب»^(١) لا يصنع الراهب . وهو يقول ان الاسلام براء من كل
هذه الاباطيل التي تنسب اليه .

على ان شعراء امريكا الشمالية يرون في فجور المرأة المزعوم سبباً
اعمق من الشهوة ، وابعد من لزوم الحجاب او تركه . وما المرأة الفاجرة
في نظرهم ، الا ضحية الرجل الفاجر ، والمجتمع الفاجر ، وما هنالك
من اسباب ثانية ، كال فقر وما اليه . وهم ينظرون الى هذه الامور نظرة
فلسفية عميقة ، فيقول نسيب عريضة :

الجوهر السامي يبقى بلا رجس
كم مومس تمضي عذراء للرمس

وقال جبران خليل جبران :

والحب ان قادت الاجسام موكبه الى فراش من الاغراض ، ينتحر
كأنه ملك في الاسر معتقل يأبى الحياة واعواناً له غدروا
ليس ^(١) في الغاب خليع يدعي نبل الغرام
فاذا الثورات خارت لم تقل هذا الهيام
ان حب الناس داء بين لحم وعظام
فاذا ولتى شباب يختفي ذاك السقام

ومهما يكن من امر ، فان الشاعر المهجري نظر الى الاشياء
والحوادث نظرة جديدة ، تختلف في كثير او قليل ، عما سبقها من نظرات
شرقية . وهي نظرة الرجل المتحرر الذي يرى الامور على نور الحقيقة ،
فلا يذم الناس او ينسب اليهم التهم والجرائم وهو سببها وصاحبها !
دع الايام ^(٢) لا تنسب اليها ذنوباً لم يهيتها سوانا
وليس اضل من وان صحيح اذا عنفته لام الزمانا

قال فوزي المعلوف :

الناس ^(٣) نحو الترقى مشيها خبيب ونحن نحو التلاشي مشينا خبيب
والجهل والدين والاهمال علقته وليس علقته غاز ومنتدب
قال نعيمه :

ذمك ^(١) الايام لا ينفعك انما الايام لا تسمعك
فهي مثل الظل يا صاحبي عجباً ظلك كم يخذعك

وقال ابو ماضي :

وطن ^(٢) اردناه على حب العلى فأبى سوى ان يستكين الى الشقا

كالعبد يخشى بعدما افنى الصبا يلهو به ساداته ان يعتقا
او كلما جاء الزمان بمصلح في اهله قالوا طغى وترندقا
الى قوله :

هذي هي الدنيا الجديدة فانظري فيها ضياء العلم كيف تألقا
وجماع القول ، ليس عجيبا ان يأتي اديهم مطبوعا بطابع التحرر
الفكري ، كالدعوة الى الحرية الشخصية ، والايان بحرية الفرد واستقلال
الشعوب ، وهم الذين قد نشأوا اولاً في بلد خيم فيه الجهل وسيطر عليه
الطغيان العثماني ثم قدر لهم بعد ذلك ، ان ينتقلوا الى بلاد تقدس حرية
الفكر وتحترم حرية القول والصحافة ، وتؤمن بالعلم الى حد بعيد . ولا
سيما اميركا الشمالية ، التي تعد في طليعة الامم الناهضة في علومها وصناعاتها .
والتي تعد في حريتها الفكرية من ارقى امم الارض . بل العجيب ان
لا يكون الادب المهجري مطبوعا بطابع التحرر والتقدم ، وان يكون
خاليا من الرسالة الروحية العالية . وهو نتاج تفاعل فكري عالمي حفلت
به اميركا التي هي في واقعها ملتقى انواع القوميات والفلسفات .

رسالته

لقد انضوت الاقلام المهجرية ، تحت لواء الاصلاح الاجتماعي ، الذي نعموا ببركاته ، في عالمهم الجديد ، بالنسبة لما قاسوا في أمسهم ، من الآم مبرحة ، في ظل الدولة العثمانية ، التي جرقتهم مظالمها عن الاوطان ، وحملتهم على مفارقة الاهل والخلان ، ولم يكن من السهل عليهم إذ ذاك ، ولا على سواهم من اخوانهم العرب ، ان يجاهدوا في سبيل تحرير بلادهم ، وهم على ما هم عليه من جهل ، وتفرقة كلمة ، وافتقار الى السلاح ، ومع هذا فقد حاول بعض رجالات العرب وادباؤهم ، مناهضة الطغيان ، من امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمان الكواكبي واديب اسحاق وابراهيم اليازجي وسليم سر كيس وجميل الزهاوي ومعروف الرصافي وولي الدين يكن و خليل مطران وغيرهم ممن فانتني اسمائهم . وكانت اقلام بعض الشعراء تعمل في الحفاء حيناً وفي العلانية حيناً آخر . فكان خليل مطران مثلاً يفرغ نغمته على مظالم الاتراك ، في اسلوب غير مباشر ، فهو يصب جامات غضبه على نيرون ، وفي نفسه ، الشيء الكثير من صورة عبد الحميد واتباعه المتآمرين معه ، على امتصاص دم الرعية . على ان ادباء المهجر^(١) وشعراءه ، كانوا أجراً وأشد حماساً ، بسبب بعدهم عن الخطر من ناحية ، واطمئنانهم الى حرية اقلامهم من ناحية ثانية وذلك في ظلال دول امريكية ديمقراطية ، لم يكن لها في ذلك الحين اي مطمع سياسي أو اقتصادي . وعليه ، فقد جاء نتاجهم الادبي ، في لونه ،

(١) راجع مقالة « التساهل الديني » لامين الريحاني ، التي القاها في جمعية الشبان

المارونيين بنيويورك سنة ١٩٠٠

من نثر وشعر ، يعبر عما في ارواحهم من اشواق الى حياة « الحرية » ، هذه اللفظة التي يكثر ترددها في كل ما نظموا ونثروا . ومن هنا جاء ادبهم يحمل في طياته ، رسالة انسانية خيرة ، تضع في إشراقها ، مخاوف النزعات الطائفية والعصية والاقليمية ، واسباحها الخيفة . فكان لازماً على اقلامهم ان تهتف ببوق الاصلاح الى ما شاء الله .

وحمل اعباء هذه الرسالة ، ثلاثة منهم ، هم في رأيي ، الموجهون الحقيقيون لتلك الحركة الادبية^(١) والنهضة الفكرية . وهم جبران والريحاني ونعيمي . ومرد ذلك عائد في نظري ، الى انهم ناثرون ، قبل ان يكونوا شعراء ، والناثر بطبيعة نتاجه ، اولى ان يعنى بالرسالة من زميله الشاعر ، الذي قد يجرفه تيار النغم ، وزحمة الالوان ، الى عالم سحري ، بحيث يتيه احياناً كثيرة ، في ضباب من اللاوعي ، ويسبح في غيبوبة ناعمة حاملة ، كالتي ينعم بها المتصوفون ، ساعة تتوق نفوسهم الى الكشف عما وراء آفاق الهوى .

وهؤلاء الثلاثة ، هم في رسالتهم هذه ، مدينون لسواهم من انبياء الشرق وفلاسفة الغرب ، وبصورة خاصة ، مدينون لروحانية الشرق ، دون ما تمسك بقشور التقاليد ، التي اضعفت كثيراً من قوة تلك الروحانية ، على رغم ما في عالمنا هذا ، من مظاهر التقوى والخير ، تلك المظاهر الخداعة ، التي حملت الناس على التلهي بها ، دون ما انتباه الى مضمون دعوتها ، وتطبيق تلك الدعوة ، بشكل عملي ايجابي . هذا وما يزال ضجيج الطائفية ، يعلو في سماء هذا الوطن العربي ، منذ اكثر من الف سنة ، على حد قول المعري :

في اللاذقية ضجة ما بين احمد والمسيح

(١) ليس في قولي هذا ، ما ينفي عن بعض شعراء المهجر ، شرف المساهمة ، في التوجيه والابداع

هذا بناقوس يدق وذا بمأذنة يصيح
كل يعظم دينه ياليت شعري ما الصحيح

أجل ، إن ضجيج الطائفة ما يزال يعلو ويعلو في بلادنا العربية الى يومنا هذا ، مجلجلاً فوق ابراج الكنائس ومآذن الجوامع ، التي ما وجدت اصلاً الا لتكون منبهاً متواضعاً ، لعمل الصلاح والدعوة الى العبادة والفلاح . ومهما يكن من امر ، فانه يصح عندي ان يكون جبران الموجه الاول للأدب التصويري ^(١) والنزعة الخيالية . وادبه التصويري ، هو الذي ترك وراءه ، مدرسة ادبية ، تعرف بالمدرسة الجبرانية في ادبنا المعاصر ، مدرسة ليس من اليسير انكارها ، ولا من السهل التنكر لها . وعندني ان ادب جبران في غالبه ، هو انعكاس تفاعل روحي وفكري ، استمدته من وليم بلايك ونيتشه ورودان . الاول شاعر انكليزي ، والثاني فيلسوف جرمانى ، والثالث فنان فرنسي . هذا ، وليست الفلسفة الامريكية في حقيقتها ، سوى نتاج تفاعل فكري عالمي ، انبثق عن ذلك الخليط العجيب ، من العناصر البشرية ، التي اتيج لها ان 'تصهر من جديد ، في بوتقة ذلك العالم الحديث .

واما كتب جبران الدينية ، المعروفة بكتاب النبي ويسوع ابن الانسان ، فهي من وحي فلسفة الموحدين ، المنتشرة بين بعض طبقات الخاصة ، من المجتمع الامريكي . واعني بها فلسفة التوحيد في مفهومها العقلي « Unitarianism » وفي مفهومها العلمي والعملية معاً .

كذلك يصح عندي ، ان يكون الريحاني الموجه الاول ، للادب الواقعي وللادب القومي ، وادبه كما يتراءى لي ، على شيء كثير من الفلسفة الذرائعية ، التي تقيس الامور بمعطياتها العملية ، تلك ، المعروفة

(٢) في رأيي ، أنك لن تقوى على تفهم جبران في ادبه ، ما لم تقف بنفسك على رسومه المعروضة في معرضه الفني ببلدته بشري من اعمال لبنان .

بالبرجماتزم « Pragmatism » والتي حمل لواءها في امريكا ، الفيلسوف وليم جيمس . ان ادب الريحاني في الغالب ، هو انعكاس تفاعل فكري فلسفي ، استمدته اول ما استمدته ، من شاعر العرب الاكبر ، ابي العلاء المعري ، ومن اخوان الصفاء ، ومن رنان وروسو وكارليل وسينوزا ودي كارت . وهو في ادبه القومي ، متأثر بالشاعر الامريكي ولت وتمان ، فقد كان يجيد لغته ويكتب بها ، مع الافرار بأنه اوفر الادباء المهجريين حظاً من الثقافة ، بحيث يصح ان يكون دائرة معارف متنقلة ، ومن هنا جاء اسلوبه كثير الاستطراد .

واما نعيمه ، فيصح عندي ، ان يكون الموجه الاول ، للنقد الجمالي وحامل لواء الصوفية . ولعله اول ناقد فني عرفته نهضتنا الادبية الحديثة . إن ادبه يصح في نظري ، ان يكون انعكاس تفاعل فكري ، لكتاب الروس الانسانيين ، من امثال دستوييفسكي وبوشكين وتولوستوي . هذا بالاضافة الى ايمان عارم بسمو الروحانية المسيحية التي نادى بتعظيم آلهة المادة واصنامها . وبعد ، لعله من اخير ان نعترف ، بان ليس كل من بشر برسالة ، يصح فيه ان يكون عاملاً بها ، سائراً بموجبها . فلنك تری بين الادباء ، والشعراء بصورة خاصة ، من يحمل في نفسه شخصيتين متناقضتين ، بل كثيراً ما يتغنى الاديب بما ينقصه من فضائل .

فقد يدعو الشاعر الى اصلاح النفس ، وهو على كثير من فسادها ، وقد يدعو الى جمال النفس ، وهو على كثير من دماستها ، على حد قول المعلم الناصري : « اسمعوا اقوالهم ولا تفعلوا افعالهم » وعلى حد قول القرآن الكريم : « والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر انهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » على انه من الانصاف في شيء ، ان نقول ، بأن تأثر ادباء المهجر ، بغيرهم من الحكماء والشعراء ، لم يكن من نوع الامتصاص الاسفنجي . فقد اخذوا ما اخذوا ، كما تأخذ

الينابيع ، من الامطار والسيول ؛ لتعيده زلالا مصفى ، وشراباً
عذباً . ولقد اعطوا من نفوسهم ، ما يصح ان يكون مصدر وحي
لسواهم ، وما يصح ان يكون ادباً جديداً ، جديراً بالخلود . والى القاريء
الكريم بعض نماذج ، على ما اعطوا ، من أدب انساني خيّر .
قال ابو (١) ماضي :

نسى الطين ساعة انه طين ^{فصل} تيهاً وعربد
وكسى الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرّد
يا اخي لا تمل بوجهك عني ما انا فحمة ولا انت فرقد
انت لم تصنع الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلد
ايها المزدهي أن مسك السقم الا تشكي الا تنهد ؟

وقال القروي :

من حبة البر اتخذ مثل الندى يا من قبضت عن الندى يثاكا
هي حبة اعطتك عشر سنابل لتجود انت بحبة لسواكا
حلمت بأن ستكون في خبز القرى

فتراقصت للموت تحت رحاكا

و كأنما الشق الذي في وسطها لك قائل نصفي يخص اخاكا

وقال الياس فرحات :

المرء شرّ سباع الارض قاطبة خبثاً وشر تنانين البحار معاً
قولوا عن الذئب ماشتم فسامعكم بمثل غدر ذئاب الناس ما سمعوا
الذئب يترك شيئاً من فريسته للجائعين من الذؤبان إن شبعوا
والمرء وهوي داوي البطن من بشم يسعى ليسلب طاوي البطن ما جمعا

وقال نسيب عريضة :

يا اخي يا اخي المصاعب شتى وبعيد مرادنا والموارد

(١) لا يشير هذا الترتيب في اختيار الشعراء ، الى فكرة المفاضلة .

وامام العيون درب عسير لم تسر قبلنا عليها الا وابد
مظلم موحش كثير الافاعي والسعالي المستهويات الطرائد
غير ان المسير لا بد منه ان اردنا ادراك بعض المواعد
فلنسر في الظلام، في القفر، في الوحشة، في الويل، في طريق المجاهد
فلنسر اعزلين الا من الحق سلاحاً، والفكر حاد وقائد

وقال فوزي المعلوف :

يا له طائراً بصورة شيطان يبتئ اللهب بركان صدره
آدمي هذا؟ أجاب أخوه جاء يستعمر الاثير باسره
كرة الارض عن مطامعه ضاقت فحطت هنا مطامع فكره
نحن لم نهجر البسيطة الا هرباً منه واجتناباً لشره .

وقال مخايل نعيمه (١) :

يا الهي الحق في بطل وغي	واذا ما قام غير يدعي
في سبيل الحق ماض لا يهاب	فليكن سيفاً لساني حدّه
ينتهي عن غيه نحو الصواب	لا يكف الضرب حتى ضده

وقال شفيق المعلوف :

كرماً وما وفيت ديونه	وفى الحياة ديونها
بعزم لا يخونه	ومضى تشق الارض قبضته
عينيه فانطبقت جفونه	عرق الجهاد همى على
كم فيه لؤلؤة تزينه	هلاً نظرت جبينه
عيونه فبكى جبينه	ضئت عليه بالدموع

(١) لم ينصرف هذا الاديب الى نظم الشعر، ومع هذا ففي ديوانه «همس الجفون» قطع رائعة . وهو اليوم يتجه في كتاباته شطر الفلسفة الصوفية .

هؤلاء ، في نظري ، هم كبار ^(١) شعراء المهجر ، وليس من ضرورة للتفاضل بينهم ، طالما للذوق الشخصي يد في الامر ، على ان ابعدهم شهرة في الاوساط الشعرية : فوزي ^(٢) المعلوف ، ايليا ابو ماضي ، رشيد الخوري « القروي » ، شفيق المعلوف ، الياس فرحات . جميع هؤلاء وغيرهم ، ممن يقتربون منهم رسالة وفناً ، يحملون الى امتهم بعض ما انطوت عليه نفوسهم ، من حب للخير والجمال ، ومن دعوة ايجابية ببناء تتمثل في كل ما قالوه ، وبخاصة ، في ما قاله الريحاني وجبران ونعيمه ، ولا احسبني مخطئاً اذا انا حسبت الاول منهم ، اكثرهم اهتماماً بتأدية رسالته ، وحرصهم على نشرها في البلاد العربية ، ولو اقتضاه الامر الى تجشم الاهوال في السفر الى كل مصر عربي ، كما حدث فعلاً ، ومن هنا جاء ادب « الامين » اقل حظاً من العناية بالناحية الفنية ، لغلبة الصبغة الخطابية على بيانه ولكنه ادب غني شامل .

قال الريحاني : « اخواني ، في اخلاقنا الكريمة الشريفة ، ما وجدت خلقاً واحداً ، يقارن الجرأة ^(٣) الادبية والحرية الادبية . شعوب وامم تفرقوا مذاهب ، وهم في حاجة الى التفاهم قبل كل شيء ، ومفتاح التفاهم التصريح بمقاصدنا وغاياتنا . أما هذه الحرية السياسية ، التي ترفع في الجرائد وفي الاندية عقيرتها فليست صافية من شوائب التقية والتعصب والمخاتلة . لم يزل هذا الشرقي شرقياً ، مسلماً كان او مسيحياً . »

وآية القول ، فإن الادب المهجري ، كما يلاحظ ، ادب رسالة في الدرجة الاولى ، ثم هو اخراج فني بعد ذلك . ومن رسالته ، ان يكون مطبوعاً بطابع التحرر الفكري ، والمناداة بحقوق الفرد مهما كان لونه ، على غير

(١) قد يصح حكمي هذا لغاية تاريخ وضع الرسالة اي لغاية سنة ١٩٤٥

(٢) ليس في هذا الترتيب ما يشير الى تفوق فوزي المعلوف ، فقد يتفوق الشاعر

في لون من الالوان الشعرية ويخفق في الآخر . (٣) الريحانيات ج ٣ ص ٢١٤

ما فزع الى السيف او لجوء الى ثورة حمراء ، . على ان الامر لا يخلو من تطرف احياناً . وهو في تحرره ، متأثر ، كما نوهت سابقاً ، بجميع التيارات الفكرية والروحية ، التي مر بها الانسان ، وعصفت في الكثير من عروشه واصنامه . ولعلّ جبران والريحاني ، تأثرا الى حد كبير ، بالثورة الفرنسية ، يوم التقيا في باريس دارسين زائرين . فتورة المهجريين تجمع بين صراع العقل والقلب في آن واحد .

ليس في قولنا هذا ، ما ينفي عن الادب العربي ، قديمه وحديثه ، المثل الروحية السامية التي نادى بها الفلاسفة والانبياء والمصلحون ، ولكن ذلك الادب لم يكن مأخوذاً ، بفكرة الرسالة ، كما هو الادب المهجري ، باستثناء شاعر عربي واحد ، هو ابو العلاء المعري ، هذا العبقرى الضريع الذي 'حق' له ان يقول : « ايعمى عن الحق كل البشر » مما لا شك فيه ، ان شعراء المهجر ، متأثرون كثيراً بشعراء الغرب وبالأدب الغربية ، لا سيما الأدب^(١) الاميركي ، والانكليزي ، والالمانى والروسي والفرنسي ، والحلاصة ، فإن الادب المهجري ، ادب انساني الرسالة ، صادق الحس والهمس .

قال الدكتور مندور : « سميته مهموساً لاعتبر عما يشيره التعبير الفرنسي ، الذي نستطيع ترجمته حرفياً ، ب « نصف ملفوظ » والمعنى في نفسي ليس واضحاً ، فاقصد به الادب الذي سلم من الروح الخطابية ، التي غلبت على شعرنا التقليدي ، منذ المتنبّي . وهو ادب^(٢) الحياة ، وكأنه قطع منها ، تستمع الى سرّها فتصدقه ، لأن قلبك قد احس في غموض بذلك السر ، وجاء الشعر يهمس اليك ، فيبصرك في مكانه . »
بما لا جدال فيه ، ان الادب الخالد ، هو الذي يجمع بين جمال

(١) بمعناه الشامل بحيث يعني آداب الامير كنين الشمالية والجنوبية .

(٢) في الميزان الجديد ص ٦٥

الاخراج ، وروعة الایحاء ، بحيث يخرج عن الطابع التعليمي او الخطابي ، وما احسب المتنبی ، غير موفق في اخراجه الفني وإن جاء مفرغاً في روح خطابية ، إلا اذا عنينا بالهمس خفوت الاصوات ، على حد قول المعري :

اذا قلت المحال رفعت صوتي وإن قلت الصحيح اطلت همسي

وهنا ، لا بد لنا ، بعد هذه المقدمات ، الآخذة بأسباب بعضها البعض ، من التساؤل ، عما تركه الادب المهجري من اثر في ادبنا العربي وفي الآداب العالمية ؟ وعليه اقول ، إن تأثير هذا الأدب كان قوياً بعيد الاثر ، في كل ما اتصل به من نتاج فني . فقد لا تجد بلداً عربياً ، لا يعترف بفضل المهجريين على الادب المعاصر ، وان كان على درجات متفاوتة . ليس من الضروري ان يكون التأثير ، بمعنى التقليد الاعمى ، بل حسب ان يكون موحياً للخلق الذاتي والعمل المستقل . يكفي للتدليل على هذا التأثير - ان يكون المنفلوطي ، وهو المعروف بامير البيان في عصره ، قد تتلمذ لجبران وسواه من ادباء المهجر ، في بعض نهجه وبيانه . جاء في كتاب «المطالعة العربية» المقرر تدريسه في مدارس مصر الثانوية ، بلسان لجنة من وزارة المعارف المصرية ما يلي : « اعلم ^(١) ان المنفلوطي ، تأثر في القديم بابن المقفع وابن العميد ، وفي الحديث ، بجبران ونعيمه ، ولكن هذا التأثير ، دخل في فنه ، دخول الایهام والایحاء ، لا دخول التقليد والاحتذاء . »

وما ذكره لي ، الصديق احمد عبد الجبار ، في حديثه عن ادب الحجاز ، ما يقرب من الكلام السابق ، ولما طلبت اليه تسجيل قوله هذا ارشدني الى مقالته ، في الادب الحجازي ، المنشورة في مجلة الاديب

حيث يقول : « ولكن النثر الحجازي ، لم ينحصر ضمن نطاق هذه الدائرة الاصلاحية فحسب ، بل تخطاها الى مواضيع ادبية فنية ، وبحوث علمية جديدة . ولقد سلك بعض الادباء طريقة الشعر النثري ، فاجادوا فيه وأبدعوا . واعتقد ان زعيم الشعراء النثرين هو « عزيز ضيا » فانك لتجد عنده ، روحاً من نثر المهجر ، الذي يسميه محمد مندور « النثر المهموس » ولا يخفي صديقي عزيز ضيا ان استاذة ، ^(١) هو جبران خليل جبران « وما جاء عن ادب المهجريين في الادب العربي ، في تونس ، ما يذكره الاديب زين العابدين السنوسي : « من ان اثر جبران ، في الادب التونسي ، اثر ملموس ، بحيث يمكننا القول ، ان هناك مدرسة جبرانية في تونس . » كذلك اخبرني صديقي الشاعر احمد الصافي النجفي : « انه تتلمذ في اول عهده لادب الريحاني وجبران ، وانه عندما كان في طهران ، عضواً في النادي الادبي الفارسي ، ترجم الى اللغة الفارسية بعضاً من شعر جبران ^(٢) المنشور . » كمقطوعة « اغنية المطر » المأخوذة من كتاب « دمة وابتسامة » والمثبتة في هذا الكتاب على سبيل النموذج . ومن يدري ، فقد يكون جبران قد استوحى هذه المقطوعة ، من قول الشريف الرضي :

من كل غادية كأن رشاشها ابر تخطيط للرياض برودا
نثرت فرائدها فنظمت الربى من ^(٣) درهن قلائد وعقودا
وكيف كان الحال ، فان الاثر المهجري في ادبنا الحديث ، لا يحتاج دليلاً ، ولا سيما في الادب اللبناني . وليس في قولنا هذا ، ما ينفي عن

(١) الاديب ج ١٢ سنة ٣ ص ٤٤

(٢) ومثل ذلك ما اخبرني عنه الشاعر البرزيلي ، اللبناني الاصل ، الدكتور جميل حداد الذي ينزل هذا البلد ضيفاً على السفارة البرازيلية ، ليحاضر في الاداب البرتغالية ؛ والشعر البرتغالي ، والدكتور يعبد اليوم في طليعة شعراء البرازيل .

(٣) راجع مطلع « اغنية المطر » تجد شيئاً من التشابه ، وربما كان هذا من قبيل توارد الخواطر

المهجرين ، تأثرهم بأدب اخوانهم في الوطن العربي . فالاستلهام متبادل مشترك ، وهم جميعاً يستلهمون في ما يكتبون ، الآداب الغربية ، بعد ان سهل الاتصال بالغرب ، وقصرت المسافات البعيدة .

وقبل الختام ، اراني مسوقاً مرة ثانية الى القول ، بأن ذلك المثلث المهجري ، المؤلف من جبران والريحاني ونعيمه ، هو الذي نهضت عليه عمارة الادب المهجري السامقة .

قال الاديب اسكندر المر ، مشيراً الى ادباء اميركا الجنوبية :
« يقتصر ادب هؤلاء غالباً ، على الترسل ، وقد نحا بعضهم ، طريقة ^(١) جبران ونعيمه ورفاقهم من اعضاء الرابطة القلمية في نيويورك »

على انه لا بد من الاعتراف ، بأن معظم كبار الشعراء ، كانوا ممن نشأ في اميركا الجنوبية ، وحسبنا من هؤلاء ، المرحوم فوزي المعلوف ، الذي لونسأ الله في أجله ، لكان شاعر العرب الاوحد قال . الدكتور طه حسين :
« فقد نشأ هذا الفتى في لبنان ، حيث هذه الطبيعة الرائعة ، التي نحبها ونكبرها ونكلف بها ونعجب بما تفيض على اهلها من دعة وشدة ، وكرم يقوم النفس ، ويصفّي الطبع ، ويبعث في المزاج حدة ، كلها شعر ، وكلها تأثر بالجمال ، قضى شاباً لم يتجاوز الثلاثين ، ولو عمر لكان له في حياة ^(٢) الشعر العربي الحديث ، شأن اي شأن ، ولكان له بين الشعراء المحدثين ، مكان اي مكان . »

حسب القاريء ان يعلم ان ديوانه « على بساط ^(٣) الريح » قد ترجم الى اكثر لغات العالم الحية .

هذا وإذا جاز لنا التفاؤل ، كان لنا ان نتقرب مستقبلاً باهراً لأخيه شفيق ، وللدكتور ^(٤) جميل حداد من شعراء اللغة البرتغالية ، فهما في

(١) جريدة المصري عدد ٢٩١٠ مايو سنة ١٩٤٥

(٢) حديث الاربعاء ج ٣ ص ٣٠٣ (٣) لقد اتيج لي ان اطلع بنفسي على بعض هذه الترجمات محفوظة في مكتبة والده الاديب عيسى اسكندر المعلوف

(٤) بشهادة الاديب نظير زيتون وغيره من الادباء

نظري المرشحان لدرجة الابداع في المهجر الجنوبي ، واما في المهجر الشمالي فقد اوشك الشعر ان يطوي سفره الادبي بعد ان تناثر عقد ناظميه ، وما احسب ان ابا ماضي باستطاعته ان يعطي بعد ، اروع وابدع ^(١) مما اعطى ، ولعله في « جداوله » اشعر منه في « خمائله » .

هذا ، ومن الشعراء من لم يسعدني الحظ بالاطلاع على شعره مجموعاً في ديوان كامل ، من امثال رشيد ايوب وعقل الجرو وشكر الله الجر وامين مشرق وجورج صيدح وسعيد اليازجي . وهناك شعراء لا ادري ما حظهم من الشاعرية ، من امثال الياس قنصل ومحبوب الشرتوني ونعمه قازان وسليم نادر وقيصر الحوري وجبران سعادته وغيرهم ، بسبب ان ما اطلعت عليه من قولهم لا يكفي لابداء الرأي فيه .

إنه لمن دواعي الفخر ان يكون بعض الادب المهجري قد نقل الى معظم لغات العالم ، وبخاصة ادب جبران والريحاني ونعيمه وابي ماضي « والمعروفين » والقروي . وإذا جاز لنا ان نتمنى على ادباء المهجر ، فهو ان ينهضوا الى وضع القصة في جميع ألوانها ، بشرط ان تتوفر لهم الموهبة اولاً ، والثقافة الفنية ثانياً . فان الآداب العالمية قد تخطت بحور الشعر الى ما هو اعمق وابعد اثرأ في حياة الفرد والمجموع - الى محيطات المسرح ، حيث الحياة مسرح دائم ورواية لا تنتهي !

وآية القول فان الادب المهجري ، استطاع بفضل ادبائه وشعرائه الافذاذ ان يحتل مكانه تحت الشمس . وكل امنيتنا ان يصبح لبنان يوماً ما ، في طليعة الامم المعطية ، في حقل الفن والفكر ، بفضل ما فيه من جمالات تساعد على الخلق ، وكفاءات تساعد على الابداع !

(١) في المهجر الشمالي اليوم شاعران شابان نزحا اليه حديثاً ، هما الصديقان سعيد جبرين ويوسف الخال ؛ لست ادري ما سوف يكون منها وكل الدلائل تشير الى مستقبل باهر ، ان شاء الله

مراجع البحث

- المسألة الشرقية مصطفى كامل ١٨٩٨ (مصر)
- ثورة العرب احد اعضاء الجمعية العربية ١٩١٦ (مصر)
- لبنان بعد الحرب اوغيست اديب باشا ١٩١٩ (مصر)
- الغربال مخائيل نعيمة ١٩٢٣ (مصر)
- السوريون في امريكا الدكتور حتي ١٩٢٤ (نيويورك)
- The Syrians in America
- بلاغة العرب محي الدين رضا ١٩٢٤ (مصر)
- في القرن العشرين
- دراسات في الادب H.A.R. Gibb (Studies in Contemporary Arabic) ١٩٢٨ (لندن)
- المعاصر
- ذكرى فوزي المعلوف عيسى اسكندر معلوف ١٩٣٠ (مصر)
- قادة الادب العربي (Leaders in Contemporary Arabic Literature by Tahir Khamiri & Dr. Kampffmeyer) ١٩٣٠ (لبنان)
- الحديث
- تاريخ الصحافة الفيكونت فيليب دي طرازي ١٩٣٣ (لبنان)
- جبران خليل جبران مخائيل نعيمة ١٩٣٤ (لبنان)
- الثورة العربية امين سعيد ١٩٣٤ (مصر)
- فوزي المعلوف وأدبه الدكتور فايز عون ١٩٣٩ (فرنسا)
- (Fawzi Ma'Luf et son oeuvre)

يقظة العرب	(The Arab Awakening) G. Antonius	١٩٣٩ (نيويورك)
الريحاني	للمؤلف	١٩٤١ (مخطوطة)
على ضوء نتاجه الادبي	انيس المقدسي	١٩٤٣ (لبنان)
المختارات السائرة	الدكتور محمد مندور	١٩٤٤ (مصر)
في الميزان الجديد		

* * *

مجلة السائح	عبد المسيح حداد	١٩١٢ نيويورك
مجلة الفنون ٣٩	نسيب عريضة ونظمي نسيم	١٩١٣ نيويورك
مجموعة الرابطة القلمية	اعضاء الرابطة القلمية	١٩٢١ نيويورك
مجلة الجالية	سامي الراسي	١٩٢٢ سان باولو
مجلة العصبة الاندلسية	حبيب مسعود (١)	١٩٢٥ سان باولو
مجلة العالم السوري	سلوم مكرزل	١٩٢٦ نيويورك
The Syrian world		
مجلة الاصلاح	الدكتور جورج صوايا	١٩٢٨ بونس ايرس
مجلة الشرق	موسى كرتيم	١٩٢٨ سان باولو
مجلة السمر	ايليا ابو ماضي	١٩٢٩ نيويورك
جريدة ابي الهول	شكري الحوري	١٩٣٦ سان باولو
العدد التاريخي		

هذا بالاضافة الى بعض المجلات الأدبية التي تصدر في الامصار العربية ، كالهلال والمقتطف والمكشوف والاديب والجمهور والأمالى

(١) وله ايضاً كتاب « جبران ميتاً وحيّاً » الا انه كان مفقوداً من مكتبة الجامعة، يوم كتبت هذه الرسالة

لم ابح لنفسي وضع الجرائد المهجربة بين المراجع ، لعلمي ان هدفها الأول لم يكن تعزيز الادب او الفكر ، الا انني اذكر هنا بعضاً منها بحسب التسلسل الزمني ، وذلك اقراراً بفضل مؤسسيها السابقين ، من رجال الرعيل الاول ، ومن شاء فليرجع الى كتاب تاريخ الصحافة المشار اليه سابقاً .

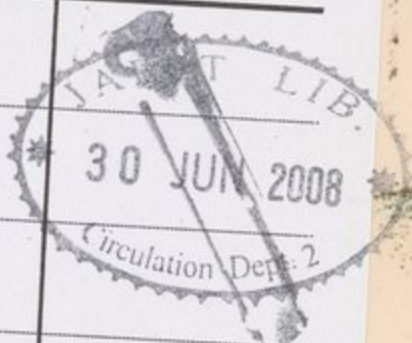
بعض جرائد اميركا الشمالية	بعض جرائد اميركا الجنوبية
كوكب اميركا ، الدكتور	الرقيب ، اسعد خال
ابراهيم ونجيب عربيلي ١٨٩٢	ونعوم لبكي ١٨٩٦
الايام ، يوسف المعالوف ١٨٩٧	العدل ، شكري انطون ١٩٠١
الهدى ؛ نعوم مكرزل ١٨٩٨	الرموز ، رشيد الحوري ١٩٠٢
مرآة الغرب ، نجيب دياب ١٨٩٩	السلام ، وديع شمعون ١٩٠٢
الدائرة ، عيسى الحوري ١٩٠٠	الافكار ، الدكتور سعيد
جواب الكردي ، انطون زريق ١٩٠٢	ابو جمره ١٩٠٣
المهاجر ، امين الغريب ١٩٠٣	الزمان ، مخايل السمرا ١٩٠٥
الدليل ، اسعد ملكي ونجيب	ابو الهول ، شكري الحوري ١٩٠٦
بدران ١٩٠٤	البريد ، يوسف ناصيف ظاهر ١٩٠٩
صوت المكسيك ، سعيد عقل ١٩٠٨	الجالية ، جورج مسره ١٩١٠
سوريا الجديدة ، الدكتور	الجديد ، نجيب طراد
نسيم الحوري ١٩١٠	وفارس نجم ١٩١١
الصاعقة ، يوسف مسلم ١٩١٠	القلم الحديدي ، جورج حداد ١٩١٣
العالم الجديد ، سلوم مكرزل ١٩١٠	البرازيل ، جورج مسره ١٩١٥
البيان ، سليمان بدور وعباس	ارزة لبنان ، يوسف الحتي ١٩١٦
ابو شقرا ١٩١١	النهضة اللبنانية ، حبيب مسعود ١٩١٨
العالم الجديد النسائي ،	العاصمة ، منير البايدي ١٩١٩
عفيفة كرم ١٩١٢	لبنان الكبير ، يوسف ناصيف ١٩٢٠
النسر ، نجيب بدران ١٩١٤	الجريدة ، الدكتور خليل
الحياة ، حنا الهندي ١٩١٥	سعادته ١٩٢٠

الفهرست

صفحة

٧	توطئة
١٠	حكاية هذا المغترب
٢١	لغته وبيانه ✓
٣١	مقاييسه الادبية ✓
٤١	جديد هذا الشعر
	ا - في المعنى ب - في اللفظ ج - في الغرض
٧٧	طابعه
	ا - الحنين ب - التأمل ج - التحرر
١٤٥	رسالته
١٥٧	مراجع البحث

DATE DUE



15 FEB 1999

892.7109

ديب، وديع أمين

الشعر العربي في المهجر الأميركي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01036224

892.7109

D545A

